حنا صاوه

ميراث الترجمة



حديث القلوب

للاجتماعى الشهير لامنيه

تقديم: نبيل فرج





714

المشروع القومى للترجمة

حديث القلوب

للاجتماعى الشهير : لامنيه
نقل إلى العربية بقلم : حنا صاوه
تقديم : نبيل فرج



٢٠٠٤

المشروع القومى للترجمة

إشراف : جابر عصفور

سلسلة ميراث الترجمة

المحرر : طلعت الشايب

- العدد : ٧١٤
- ميراث الترجمة (٣)
- حديث القلوب
- لامنيه
- حنا صاوه
- نبيل فرج
- الطبعة الثانية ٢٠٠٤

الطبعة الأولى : مطبعة جرجى غرزوزى بالإسكندرية ، ١٩١٣م

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت ٧٣٥٢٣٩٦ فاكس ٧٣٥٨٠٨٤

El Gabalaya St., Opera House, El Gezira, Cairo

Tel : 7352396 Fax : 7358084

تهدف إصدارات المشروع القومى للترجمة إلى تقديم مختلف الاتجاهات والمذاهب الفكرية للقارئ العربى وتعريفه بها ، والأفكار التى تتضمنها هى اجتهادات أصحابها فى ثقافاتهم ولا تعبر بالضرورة عن رأى المجلس الأعلى للثقافة .

إهداء الكتاب

إلى الصديق البحاثة الاجتماعى إلياس أفندى الأيوبى

أهدى هذا الكتاب

حنا صاوه

الإسكندرية فى ٢٠ مايو سنة ١٩١٣

تقديم

عرفت مصر طباعة الكتب فى أوائل القرن التاسع عشر ، وبالتحديد فى ١٨٢٠ ، مع إنشاء مطبعة بولاق ، فى عهد محمد على ، بعد ما يقرب من أربعة قرون من ظهور المطبعة فى أوروبا فى ١٤٥٠ .

ومنذ بداية الطباعة فى مصر إلى اليوم ، والمكتبة العربية تفيض بأعداد كبيرة من الكتب المؤلفة والمترجمة والمحققة ، لا يعرف أحد عنها شيئًا ؛ لأنها لم تطبع غير مرة واحدة ، فى المطابع الرسمية أو فى مطابع القطاع الخاص . وغالبًا ما كانت طبعاتها طبعات محدودة ، تنفد فى وقت قصير ، ولا يلتفت إليها النقاد ، بسبب ضعف الحركة النقدية ، بالقياس إلى حركة النشر .

ومثل هذه الطبعات المحدودة، فى سنوات بعيدة ، التى صدرت قبل قانون الإيداع فى دار الكتب (١٩٥٤) بعشرات السنين ، يمكن أن تجعلنا ننظر إليها كما ننظر إلى المخطوطات النادرة ، التى تحتاج إلى تحقيق ، وتنشر لأول مرة .

ومن هذه الكتب المجهولة التى تستحق أن يُعاد طبعها فى عصرنا ، وأن تجد الاهتمام الملائم لها من النقد والتحليل ، أقدم لكم كتاب «حديث

القلوب» للكاتب الاجتماعى هوج فيليستيه روبردى لامنيه ، الذى نقله إلى اللغة العربية حنا صاوه فى ١٢٥ صفحة من القطع المتوسط ، وطبعته مطبعة جرجى غرزوزى بالإسكندرية سنة ١٩١٣ .

كان العنوان الأصلى لهذا الكتاب «كلمات مؤمن» إلا أن المترجم حنا صاوه اختار له عنوان «حديث القلوب» لكى يكون أكثر تعبيراً عن عمق الروح والمضامين الإنسانية التى يفيض بها الكتاب .

أما الترجمة العربية فتبدو بسلاستها وقرب تناولها كأنها تأليف .

ولهذا المترجم خمسة عشر كتابا آخر ، يورد عناوينها فى الصفحة الأخيرة من كتابه ، نذكر منها «المزاح فى الحب» ، «اليد المخضبة بالدماء» ، «زنبقة القرية» ، «عاقبة الكبرياء» ، «السيف والقلب» ، وغيرها من الأعمال التى تؤكد أن حنا صاوه ، مترجم هذا الكتاب الثمين ، لم يكن متطفلا أو طارئا على مجال الترجمة ، وإنما كان من العمد الأساسية التى قامت عليها النهضة الحديثة فى مصر والثقافة العربية .

واختياره لهذا الكتاب «حديث القلوب» يقدم الدليل على هذه القيمة .

يتضمن الكتاب مقدمة قصيرة جداً بقلم المترجم عن المؤلف ، يذكر فيها تاريخ ميلاده فى مدينة سان باولو الفرنسية سنة ١٧٨٢ ، ووفاته فى باريس سنة ١٨٥٤ ، حيث دفن فى مقابر الشحاذين .

كما تشير المقدمة إلى دخوله سلك الكهنوت فى سن الثانية والعشرين ، على غير رغبته ، ورفضه أن يكون كردينالا ، مكتفياً بأن يكون قسيساً .

وتذكر المقدمة أنه تأثر فى الإيمان بالثورة بفلسفة چان چاك روسو وشاتوبريان . ويتجلى هذا التأثر فى جريدة «المستقبل» التى أصدرها عام ١٨٣٠ ، وأكد فيها أن السلام الاجتماعى رهن بالمساواة والحرية ، كما يتجلى فى كتابه «خطرات فى عدم الاكتراث بالدين» الذى وضعه لامنيه رداً على الذين يستغلون الدين لتحقيق أهداف سياسية ، يستأثرون فيها بكل الحقوق . وقد كان هذا الكتاب الذى منح لامنيه شهرة عريضة فورية سبباً فى فصله من الكنيسة سنة ١٨٣٢ ، وهو فى الخمسين من عمره ، بحكم أصدره البابا جريجورى السادس عشر ، فى عصر كان الملوك ورجال الدين يستطيعون بالتفويض الإلهى تجريد الرعية من جميع حقوقها ، وحرق النساء العجائز بتهمة اقتراف السحر.

غير أن لامنيه كتب بعد فصله من الكنيسة فى ١٨٣٣ كتاب «كلمات مؤمن» الذى وضع له المترجم عنوان «حديث القلوب» ، يهاجم فيها البابا وملوك أوروبا ، فى عصر لم يكن أحد يجرؤ فيه على ذكر هذه الشخصيات المقدسة إلا بكل إجلال واحترام ، مما أدى إلى مضاعفة عداوة الكنيسة له .

وهذا يعنى أن الكتاب من إنتاج لامنيه بعد أن تجاوز الخمسين من عمره وحنكته الأيام ، وضعه دفاعا عن الأفكار والمبادئ التى آمن بها منذ شبابه الأول ، وكانت سببا فى هذا الفصل من الكنيسة بحكم غير منصف أصدره البابا جريجورى السادس عشر .

وجوهر هذه الأفكار والمبادئ التى استلهمها لامنيه من الزمن الغابر ، ومن الشريعة المسيحية السمحة ، ومن القيم الاشتراكية والمعارف العلمية - تحرير الإنسان من الضعف والعبودية والانشقاق والنقص الملازم للإنسانية ، ونشر الحرية والمساواة والتضامن والعدل والسلام على العالم ، حتى تعيش الإنسانية حياة فاضلة ، كأخوة متساوين ، يحب بعضهم بعضا ، ويكتفى كل فرد بسد حاجته من الخيرات المتاحة ، دون أن يغتصب ثمار كد الآخر ، أو يهدر حقه المشروع الذى تنص عليه الطبيعة والقانون .

وهذه هى الصورة المثلى التى تليق بأبناء الأب الواحد والأم الواحدة الذين خلقهم الله على الأرض ، وطن الجميع ، فإذا نقص قوت أحد من الخلائق كان هذا دليلا على خطأ البشرية كلها . وعندما يثور بينها خلاف فإن التحكيم يكون - فى نظر لامنيه - أمام شيخ ورع ، يلتزم الصدق والحقيقة ، وليس أمام قضاة المحاكم ؛ لأن هؤلاء القضاة ليسوا سوى أدوات السلطة الذين يؤيدونها ، كما يؤيد الجلاد أميره على العرش .

أما أصحاب الصولة والكبرياء والبأس والمجد الباطل ، من الملوك والأثرياء ، فإنهم يستحقون اللعنة باعتبارهم مصدر الشر الذى يسود العالم ، ومصدر الحقد والغربة والسقم والفرقة وانقلاب الأوضاع والقلاقل التى يعانى منها الإنسان على الأرض ، وتؤدى إلى افتقاد الطمأنينة ، نتيجة ملاحقة الطغيان له ، وغلبة الجهل ، وعدم قتل الخطيئة فى النفس .

ومع هذا فإن ثقة هذا المفكر العظيم فى الإطاحة بالأنظمة الجائرة ، وسقوط عروش الطغاة ، ثقة لا حدود لها ؛ لأنها جزء أصيل من إيمانه الراسخ بالله ، ومن ثقته الوطيدة بأن الإنسانية - التى صاغها الله على مثاله - لن تضل طريقها أو تزل قدمها ، وهى تنتقل من اليوم الأول الذى تعيش فيه ، إلى اليوم الثالث الذى يأخذ فيه عدل الله مجراه ، فيتغير وجه الكون والحياة ، وتنتقل البشرية من الظلام إلى النور ؛ حيث ترى نفسها بلا أستار أو حجب ، وتتعرف من أعماقها على بنى جنسها .

ويثبت هذا الكتاب بجلاء أن لامنيه لم يقف من الدين عند طقوسه المقدسة وحدها ، ولكنه تجاوزها بإدراكه لرسالة الدين ، وبتمسكه بحرية الفكر والضمير ، مع انهيار النظام الإقطاعى ، ونمو النظام الرأسمالى .

أما البابا فلم يعرف فضيلة التسامح ، ولم تكن لديه الرغبة فى أن تؤدى الكنيسة دوراً غير دورها الدينى ، فحكم بفصل لامنيه من الكنيسة .

والكتاب عبارة عن مناجيات كتبت فى شكل قصيدة طويلة ، تضارع فى أفكارها وأسلوبها تأملات فيكتور هوجو وأوصاف لامرتين ، ترجمت بلغة شعرية ، يكشف فيها المؤلف عن يقظة روحية ، وعن نزعة شديدة للإصلاح على كل المستويات ، تنبع من وعى متوهج ينتمى به لامنيه إلى الفكر الاشتراكى الذى يأخذ بالمسيحية فى كل حرف منها ، أو ينتمى به إلى الاشتراكية الطوباوية ، التى تهدف إلى «تحقيق الذات» ، ومقاومة السلطة الفردية المطلقة ، سواء كانت سلطة الملوك ، أو الإقطاع ، أو أصحاب العمل والإنتاج الصناعى ، الذى انتقلت إليه أوروبا فى القرن الثامن عشر ، واتسع نطاقه فى القرن التاسع عشر .

وليس من السهل عرض هذه المناجيات الشعرية التى تحيط بالزمن الغابر ، وتتجه إلى الله ، وينبض كل سطر منها بأجمل المعانى ، وأعمق الإيمان .

ولكن يمكن القول إجمالا إن المؤلف ينبش فيها أحشاء الأرض ، ويصعد إلى أعالى السماء ، بحثا عن جوهر الحياة الإنسانية ، حياة العدل والرحمة والحرية التى تعد فى نفس الوقت جوهر الدين ، والحافز لمواجهة عالم الشر الذى يسود المعمورة، بكل ما يسفر عنه من محن، وآلام ، وأذى .

ومن خلال هذه المواجهة التى تتسلح بالعلم والفكر ، نتعرف على السبل التى تمكننا من أن نتصدى بها لهذا الشر المتعدد الأشكال ، ونتجنب المتاعب التى تتعرض لها الإنسانية ، بالدعوة إلى أن يكون الملوك فى خدمة الشعب ؛ لأنهم خلقوا لهذا الهدف، ولم تخلق الشعوب للملوك . وبالدعوة أيضًا إلى التعاضد والاتحاد وحرية الإرادة فى ممارسة الحياة والاستمتاع بها، وكسر القيود التى تحجب النور الباهر عن الحياة الإنسانية المحدودة، والتمسك بالأمانة.

تبدأ مناجيات الكتاب بدعوة القراء أن يعيروا المؤلف سمعهم ، وأن يقولوا له من أين يصدر «هذا الدوى المصم الغريب» الذى يُسمع فى كل مكان ، ثم يدعوهم إلى أن يضعوا أيديهم على الأرض ، كأنهم أطباء يضعون راحتهم على صدر العليل ، ويقولون له لماذا تختلج الأرض ويكتنفها الظلام ؟

ولماذا يتحكم البعض فى الكل ، والفرد فى المجموع ، بعد أن كانت الأرض ميراثا متوارثا للخلائق ، تدر الخيرات على أبنائها السعداء ، الذين يعيشون كأخوة ، يتمتع فيها كل فرد بثمرة كده ، ويقدس حق الغير ؟!

ونفهم من كلمات هذا المؤمن أن الأرض اختلجت ؛ لأن ثعبانا - وهو رمز الأنانية والطمع - زحف وسط البشر ، وهمس فى آذان بعضهم ، فصرخوا بعدها قائلين «إننا ملوك» ، واستلوا سيوفهم ، وهاجموا الأكواخ الوادعة ، وامتزجت الدموع بالدماء .

وهذا يعنى أنه عندما يخترق الطمع النفوس ، يتدافع النور والظلمة ، وتتلاطم أمواج البحر ، وتتزعزع الجبال ، وتنهار الروابى على الأودية ، وتتغير مجارى الأنهار ، وتتكاثف الحجب .

وبذلك انتصر الثعبان، ووقعت الخطيئة، وساد الشر.

ومن هنا يجد المؤلف نفسه مندفعاً للخوض فى هذا العالم الذى فقد براءته الأولى ، لكى يعيد إليه نظامه السابق وتعاليمه السامية ، بحض الإنسان على المقاومة ، ومحاولة إقناع البشر بأنْ الحياة يكفيها القليل مع القناعة ، حتى يغدو هذا الشر مقدمة لخير مقبل ، تتحطم فيه التيجان والعروش بيد الشعوب المتحركة لقلب نظام الكون ، ويخرج الأغنياء عراة من قصورهم فى العاصفة ، وتتحرر الإنسانية من كل ما نزل بها من ويلات ، وتبرأ مما تعانى منه من طمع ونصب وخوف ، وتعود إلى عصرها الذهبى الذى يتقارب فيه بنو الإنسان فى عائلة واحدة وأمة واحدة، على الأرض الخصبة الخضراء الثابتة التى خلت

من الشر ، وغدت بلا وصاية أحد ، يجمعها الحاجات المتبادلة ، ويشملها الخير العميم .

وبفضل المعرفة العلمية والفكرية التى تمتع بها لامنيه ، يوصى الإنسانية الجديدة بألا تسلم بالمظهر ؛ لأن ما يتراءى لها ، والشىء الذى تلمسه ، ويقع نظرها عليه ، ليس سوى ظل هذا الشىء ، لا أصله أو حقيقته ، كما يوصى بعدم الخضوع للأباطيل التى تكتب على الورق ، وتلصق على الجدران .

يقول لامنيه «احذر المتغنين بالحرية ، وهم قاتلوها» .

ومن أراد أن يرى العالم الحقيقى المحجوب عن الأنظار فلن يجده إلا إذا نظر إلى أعماق قلبه ؛ ذلك أنه بهذا النظر الذاتى تستيقظ القوى الخفية الكامنة فى النفس ، التى تكشف الحجب .

ويفرق لامنيه بين القوة الوحشية للمغتصبين والمتكبرين واللصوص وقطاع الطرق والخطاة ، أى قوة الاعتداء والجريمة ، وبين قوة الجسارة دفاعا عن الحق والحرية ، التى تتسم عادة بالوداعة والهدوء والثبات .

وغياب قوة التصدى الشجاعة فى حياتنا يؤدى إلى قتل الحرية ، ولا يقل خطرا على هذه الحياة من وجود القوة الوحشية بلا مقاومة أو مواجهة .

وكما أن تباين صفات الحيوانات لا يمنع كل نوع منها من التوصل إلى غذائه ، كذلك ينبغى على الإنسانية ، فى نظر هذا المفكر العظيم ،

أن توفر الغذاء للجميع ، فإذا نقص قوت أحد، يكون هذا النقص – كما سبقت الإشارة – دليلاً على انعدام العدل والعطف .

ولمن يريد أن يعرف بدقة معنى العدل والعطف ، يذكر الكاتب أن العدل هو الحياة نفسها . أما العطف فهو الحياة مقترنة بالمحبة .

وهذه هى الشريعة المسيحية السمحاء ، كما يراها لامنيه، وهى قانون الله ، وحقوق الإنسان .

نبيل فرج

مقدمة

(من هو لامنيه ؟)

هو المصور والكاتب والشاعر المشهور هوك فيليستيه روبر دى لامنيه المولود فى سان مالو فى سنة ١٧٨٢ والمتوفى فى سنة ١٨٥٤ ، وقد دخل مكرهًا فى سلك الكهنوت فى الثانية والعشرين من عمره فأبدى من الخبرة وبعد النظر فى اللاهوت ما جعل لاون الثانى عشر يعرض عليه وظيفة كردينال فأباها لا عن كبرياء أو ضعة ، بل عن شعور مال به عما كان فيه إلى هوى كانت نفسه قد استقت من معينه فأخذ يعرج بها عن المعارج التى كان فيها إلى معارج خلافها . وهو هوى استمد أصوله من روسو وشاتوبريان استمدادًا كنى لأجله (بابن العاصفة) أى الثورة. ولم يكن يشعر - بادئ ذى بدء - بنمو تعاليم ذينك الرجلين اللذين هما قاعدتان من قواعد الانقلاب الاجتماعى والسياسى فى نفسه ؛ فأبدى من التعلق بسلطة الفرد ما جعله ينال منزلة عظمى فى أعين رؤسائه الروحيين ، وهو تعلق أدى به إلى القول باستمداد حق الملكية من الله ، جاعلاً بين الله والملك علاقة يمثل بها الثانى جلالة الأول على الأرض ، ثم صرح بحقيقة حاله وهى وإن كان مسيحيًا إلا أنه لا يرغب فى أن يكون كهنوتيًا . وقد صرح بذلك

فى كتاب جعله فى مصاف شاتوبريان ودى مستر ، وهو : «خطرات فى عدم الاكتراث بالدين» طاعنًا فيه السياسة طعنة شديدة واصمًا نويها بالجحود لاتخاذهم الدين وسيلة للاستئثار بكل حق . على أنه لم يتحقق تداخل رجل الدين فى السياسة ، وإن الأول هو الأخرى وإن البابا يمثل السلطتين معًا وهما الدينية والزمنية ، وإن كهنة أوروبا يحافظون على المبادئ الملكية كمحافظتهم على المبادئ الإنجيلية ويدافعون عنها مدافعتهم عن هذه – حتى انفجر بركان تلك التعاليم فى نفسه فنبذ عقيدة حقوق الملك الإلهية وتحرر منها مقتنعًا بأن الله لا يحكم بالقسوة ، وإن السلطة الفردية ما عادت لتنطبق على روح الشعوب ، بل إن الروح التى تنطبق عليها إنما هى روح الحرية التى هى الدرع التى تدرأ الاستبداد والضمان الحافظ لحق الفرد وسلام الهيئة الاجتماعية واستتباب نظامها .

وقد رغب فى تأييد مبدأه الذى أتاه عن العصور السالفة استقبالاً لعصر جديد أساسه المساواة والحرية المستمدتين روحيهما من جوهر الدين ؛ فأسس مع مونتالمبر ولاكوردير جريدة (المستقبل) سنة ١٨٣٠ فدعوا إلى روما لبيان غايتهم ، إلا أن هذه الدعوة أدت إلى انفصال لامنيه عن الكنيسة انفصالاً كليًا مع حكم صدر عليه من البابا جرجوار السادس عشر سنة ١٨٣٢ ؛ فنشر مدهشاته الرنانة التى صادفت أعظم وقع ألا وهى (كلمات مؤمن) فى سنة ١٨٣٣[١] .

* * *

(١) ثم إنه أنشأ جريدة الشعب الدستورى فى سنة ١٨٤٨ ؛ فانتخب نائبًا بدون أن يصالح الكنيسة .

ما هذه الكلمات ؟

هى الكلمات التى حرك لها واضعها الأرض نابشًا أحشاءها وصعد لأجلها إلى السماء مناجيًا الجوهر . فهو قد سما فيها عن هيكو فى تأملاته ، ولا مارتين فى أوصافه ، مطلقًا فكره المتشبع باللاهوت والفلسفة – من شسناى القريبة من مدينة دينان الكائنة فى الشمال الغربى من فرنسا على نهير الرانس – فى آفاق الكائنات وبطونها . مستندًا إلى المصدر الأصلى للحب والمساواة والإخاء فى الأعالى ، ناشرًا مبادئها فى الأنحاء الأرضية بالقرطاس ، باثًا روح الحرية فى الخلائق ، محررًا إياها من تقاليد هى العبودية، وأهواء هى الانشقاق ، ومطامع هى الشقاء ، وتنازع هو الدمار ، وهى علل تتحدث فيها القلوب العظيمة مبتغية استئصالها ، ساعية وراء إيجاد أدوائها ، إلا أنه مهما كان مبلغ هذا السعى فإنها لن تهتدى إلى ما اهتدت إليه خواطر لامنيه . وإن اهتدت إلى ذلك فإنها لن تصوغه فى القالب الذى صاغه ذاك . ولا غرو فهو قد قبض على المرقم منئيًا فى تلك العزلة ؛ فأورد من الآراء الاشتراكية التى قاعدتها روح المسيحية مجموعة براهين سديدة أطلقها على سلطة الفرد ليفصمها ، وعلى المجموع المشتت ليوحده ، رامزًا إلى ما حل من الانقلاب السياسى والاجتماعى بأسلوب هو أسمى من الشعر إن ارتقى إلى كمالات الخيال ، طاعنًا فى حكومة الفرد لمنافاتها لروح الاجتماع ، وفى الكنيسة لتعلقها بتلك الحكومة المنافية لروح الدين ، هازًا كلتيهما هزًا نزل بهما عن العرش الذى أقامتاه علَى حقوق الضعفاء والمضطهدين – فارتقتاه غير واجستين – نزولاً مصدقًا

لأناشيده ، إذ نالت الحرية أعظم فوز ، فاستولت الشعوب على حقوقها ، فخار العرش ، ودالت دولته .

وهى أناشيد تتحادث فيها القلوب فنؤمل أننا لا نلام إن نحن بسطنا للقراء «كلمات مؤمن» بين دفتى حديث القلوب.

حنا صاوه

١

أعيروا السمع وقولوا لنا من أين يصدر ذاك الدوى المصم الغريب الذى يسمع من الجوانب كافة ؟

ضعوا أيديكم على الأرض وقولوا لنا لماذا هى تختلج وقد اكتنفها الظلام ؟

* * *

هناك شىء مجهول يتحرك فى جوف المسكونة . فهناك – والحالة هذه – عمل من أعمال القدرة .

أفى الوجود خليقة لا تنتظر الساعة ؟ أفى الوجود قلب لا يخفق لها ؟

ارتفع يا ابن الإنسان إلى الأعالى وقل لنا ما الذى تراه؟

* * *

أرى فى الأفق سحابة ممتقعة اللون وحولها ضوء أحمر كأنهُ لهيب .

وأرى أمواج البحر تتلاطم . وقمم الجبال تتزعزع . والروابى تتمايل فتنهال على الأودية فتغير مجارى الأنهر.

أرى الآن أن الثوابت تتحرك ، وأن الوجود يتخذ لنفسه شكلاً جديداً ، وما الذى تراه أيضاً يا ابن الإنسان ؟

أرى الغبار ينعقد سحباً فى الفضاء البعيد ، فينتشر فى كل مكان ، فيختلط ويتصادم ماراً فوق المدن كجسم قائم فيبدو كالسهول . وأرى الشعوب تهب أفواجًا ، والملوك يضطربون فوق عروشهم . فهناك إذن حرب قائمة .

وأرى عرشاً بل عرشين قد حطما وبددت الشعوب بقاياهما .

وأرى شعباً ينازل شعباً آخر : للأول ضربات ساحقة إلا أنه أعزل . أما عدوه فإنه متسلح . هو ذا الأول قد سقط والدماء تسيل من جسمه العارى فهو طعن طعنة قاتلة ، بل إنه جرح ليس إلا . وقد أقبلت عليه عذراء وطرحت عليه ثوباً أبيض وهى تبتسم له وأخرجته من ساحة الوغى.

وأرى شعبًا آخر ينازل منازلة متواصلة مجدداً قواه التى يفقدها فى الجهاد توصلاً إلى بغيته التى لا أميزها .

وأرى شعباً ثالثًا قد وطئته أقدام ستة من الملوك شهروا خناجرهم ، وجعلوا يغمدونها فى نحره كلما حاول إتيان حركة .

وأرى ساحة شاسعة قد أقيم فيها بنيان شاهق توارى بين الستائر السود .

وأرى الشرق يضطرب ناظراً مذعوراً إلى انهيال آثاره الشاهقة وتحول معابده الصوانية إلى رماد باحثًا في طيات الوجود عن عظمة زاهرة يستعيض بها عظمة زالت ومجداً جديداً بدلاً من مجد قد أفل .

وأرى في الغرب امرأة حادة النظر عالية الجبين وضاحة الوجه وهي منهمكة في وضع رمز لا يكرره مرقمها الثابت بين أناملها حتى تهتف لها الشعوب ، وتحييها الناشئات ، وتمجدها القلوب .

وأرى في الشمال أناساً قد تولاهم الصقيع فاستعانوا عليه بحرارة الإيمان .

وأرى في الجنوب رؤوساً ذليلة تحت تأثير لعنة أجهل ما هي .

هنالك نير هائل يثقلها فطأطأ نووها وأحنوها إحناء الرق وأخذوا يجولون وهم كذلك . فيا لهم من بائسين ، ولكن هو ذا روح قد حلق في ربوعهم فجعلوا يقومون تلك الرؤوس .

وماذا ترى أيضاً ؟

* * *

أرى النور والظلمة يتدافعان . وأرى الشر هارباً أمام الخير الذي أقبل محفوفًا بأعوانه واضعًا قدمه على العرش ليحكم ، ومادًا يده إلى الصولجان ليثبت به البسيطة .

٢

حلقنا بالفكر فى سماء الزمن الغابر حيث كانت الأرض خصبة تدر الخيرات على بنيها الذين كانوا سعداء فيها ؛ فإنهم عاشوا كأخوة . فرأينا الثعبان قد حسدهم على هذه النعمة ، فأخذ يزحف بينهم موجهاً عينيه النافذتين إلى الكثيرين منهم. فاضطربت نفوسهم . ودنا بعضهم من بعض ، فهمس الثعبان فى آذانهم بعض كلمات أصغوا إليها لاهثين، ثم إنهم صاحوا قائلين «إننا ملوك» .

وحينئذٍ امتقعت الشمس ، واتشحت الأرض بوشاح هو الكفن ، ثم سمعت ضجة شديدة عقبتها أنّة طويلة تلتها رعدة استولت على النفوس ؛ فقل إذن إن الساعة كانت إذ ذاك كساعة الطوفان .

ساد الرعب على الأكواخ حيث لم يكن هنالك قصور. واستسلم القاطنون فيها إلى الوساوس فتولتهم رجفة .

واستل الذين قالوا «إننا ملوك» سيوفهم وهاجموا الأكواخ .

فوقعت فظائع جمة داخل تلك الحصون القصية وجرت الدموع ممزوجة بالدماء .

وصاح الرجال وجلين: لقد انتشر الفتك والقتل ثانية.

وكان هذا غاية دفاعهم ، فإن الخوف قد قتل منهم النفوس وأوهن السواعد .

وتخلوا عن أنفسهم قانطين ، فثقلت أيديهم بالأغلال التى جعلت منهم ومن نسائهم وبنيهم مجموعًا زج خليطًا فى شبه كهف حفره خصيصًا لذلك الذين قالوا «إننا ملوك».

فباتت الإنسانية وهى كذلك كحيوان فى مربط .

* * *

ومزقت العاصفة طيات السحب وبددتها ، وقصف الرعد شديداً فسمعنا صوتًا يقول : لقد انتصر الثعبان ثانية ، ولكنه انتصار لا يطول .

ولم يصل إلى آذاننا بعد ذلك سوى لغط مبهم مقرون بضحك وزفير وسب .

ففهمنا أن الشر سائد ، فبكينا بكاء مراً تلاه انتعاش النفس لأمل بدا ، ألا وهو إن ذاك الشر إنما هو مقدمة الخير المقبل .

لاح لنا هذا كله وتحقق . فقد ساد الشر فعلاً وسيسود الخير فعلاً ، فتتحرر الإنسانية ، فتنطلق من عقالها ، ويهوى أولئك الذين قالوا «إننا ملوك» إلى ذاك الكهف نفسه فيجدون الثعبان أيضًا .

٣

يا بنى الإنسان !

أبناء أب واحد أنتم ، وأم واحدة قد أرضعتكم ؛ فلماذا لا يحب بعضكم بعضاً كإخوة ، ولماذا تسعون إلى التنازع كالأعداء ؟

ملعون الإنسان الذى لا يحب أخاه . وأكثر من ملعون الإنسان الذى يجعل من نفسه عدواً لأخيه ، ولذا كان الملوك والشرفاء أكثر من ملعونين ؛ فإنهم لم يحبوا إخوانهم بل عاملوهم كما لو كانوا أعداء .

ليحب بعضكم بعضاً وأنتم لا تخشون بأس ذوى البأس . إنهم ليسوا بأقوى منكم إلا لأنكم غير متحدين .

لا تقولوا إن هذا من شعب ونحن من شعب آخر فلا سبيل إلى الاتحاد . نعم لا تقولوا ذلك . فإن الأرض وطن الجميع. ويجب أن يكون الجميع واحداً .

إنه إذا أصيب عضو بألم تألم الجسم كله . وأنتم ذاك الجسم . فإن أصيب بعضه بسوء شملكم هذا السوء ، وإن وقع بعضكم تحت نير كان ذلك نذيراً بوقوع المجموع . لاتكونوا إذن كذاك القطيع الذى ينقض عليه الذئب فيفترس منه كبشاً حتى إذا عاوده الجوع عاود الانقضاض فيأتى

عليه . نعم لا تكونوا كذلك زعمًا منكم أن افتراس الكبش الأول يبقى لكم نصيبه من المرعى ؛ لأن من كان هذا زعمه كتب عليه أن يكون اللقمة السائغة لذاك الوحش الذى يروى ظمأه بالدماء ويسد سغبه بالدماء .

٤

إن صادفتم إنساناً مقوداً إلى الإعدام أو السجن فلا تتسرعوا في القول بأنه رجل شر يجب أن يبتر . إذ لعله يكون رجل خير قد رغب في خدمة بني الإنسان فعاقبه مضطهدوه بالقتل أو السجن . وإن رأيتم شعباً ثقل بالحديد ودفع إلى قساوة جلاده فلا تقولوا إنه شعب دموي عكر السلام وأثار الاضطرابات . فإنه ربما يكون قد ضحى بنفسه لخلاص البشرية .

٥

متبـاينة هى الحيـوانات تباينًا كليًا . إلا أنه تباين لا يمنع كل نوع منها دون التوصل إلى غذائه . ولا داعى للتسـاؤل عن باعث ذلك . فإنه ليس بينها حيـوان يغتصب نصيب الآخر ، بل إنه يكتفى كل منـها بما يسد جوعه .

هناك خلية قد مجَّ فيها النحل متعاضداً حتى مـلأها عسـلاً . فمـاذا يحدث إن داخلت الأطماع نحلة منه فحاولت أن تستأثر بالعسل ؟

نعم . ماذا يحدث ، وماذا يكون مآل سائر النحل ؟

* * *

الأرض هى الخلية والخلائق هى النحل . ولكن نحلة الحق فى حصة من العسل للغذاء . فإن وجد بين الخلائق نفر ينقصهم هذا القوت كان ذلك رمزاً إلى أن العدل والعطف قد محيا من بين مبادئ البشرية .

٦

العدل هو الحياة . والعطف هو الحياة مع المحبة . ولكن أبى «نذيرو السوء» أن يسود السلام على البشرية ؛ فقاموا فى الناس خطباء مقنعين البعض أن الكل قد ولد له ، فآمن بقولهم البعض والكل .

وحينئذٍ ارتجت الأرض لمستقبل رهيب أنذرتها به السماء.

* * *

ولد الناس متساوين وهم لله . ومن قال بعكس ذلك فقد قال البهتان .

* * *

« ليس التلميذ أفضل من المعلم . ولا العبد أفضل من سيده . يكفى التلميذ أن يكون كمعلمه . والعبد كسيده» .

هذا هو نص الشريعة المسيحية التى هى الحب . وليس هذا الحب بباعث لسيادة فرد على مجموع ، أو بعض على كل ، بل إنه التضحية الذاتية لمصلحة الجميع .

إذا تقرر ذلك – وهو البديهى – كان الإنسان الذى يحدث نفسه قائلاً : إنى لست كالجميع ، إنما الجميع لى فأسود عليهم كما أشاء .

وأتصـرف بما لهم كمـا أهوى – إنما هو إنسـان من الشـر . والشـر هو السـائد الآن على العـالم . لأنه الملك المطاع من أولئك الذين ديدنهم التمسك بأهدابه فأصبحوا استناداً إلى وحيه سادة العالم الذين يخر لديهم النبوغ وبذل الذكاء .

غير أن لسلطتهم أجلاً . وإننا لعلى أبوابه . وقد قلنا على أبوابه ؛ لأن خلل الرمـاد ومـيض نار سـتـضطرم اضطرامًـا يزيد أوارها أولئك الذين سيهبون تأييداً للمساواة والعدالة والحب .

فقل إذن بأنه ستحدث معركة هائلة تقلب النظام الاجتماعى مخلدة ذكر الذين يسقطون فيها شهداء .

فـقـوِّموا إذن ظـهوركم يا أيهـا المتـألمون ، وارفـعوا منكم الرؤوس ، وقووا فيكم القلوب ، واستنشقوا نسيم الغد بمجموع قوى تنفسكم فإن فى طياته الأمل العظيم الذى ستتزاحم الخلائق على تضحية ذاتها لأجله حبًا بأخوتها فى الإنسانية ، حتى إذا أشرقت شمس اليوم التالى دعته الشعوب يوم الخلاص.

٧

تعبث الزعازع بالشجرة المنعزلة مجردة إياها من الورق مكسرة منها الأغصان مقوسة إياها إلى أسفل بدلاً من أنها تقوِّمها إلى أعلى . وتلحف الشمس النبات المنفرد الذى لا يحول بينه وبين حرارة الشمس ظل فيذبل ثم يجف فيموت.

ولما كان ذلك كذلك فاتخذوه قياسًا ينطبق على الإنسان الواحد الضعيف . فإنه يتعرض فى هذه الحالة إلى مطامع القوة فتقوِّس منه الظهر وتحنى رأسه وتفقده الثمرة التى يقتات منها ؛ فإنها تذهب فريسة أهواء العاتين .

فلا تكونوا إذن كتلك الشجرة أو ذاك النبات ، بل اتحدوا وتعاضدوا وكوِّنوا من مجموعكم وحدة تضمن ما لكم من الحقوق .

فى انشقاقكم ضياع للقوة فتتعرضون وأنتم أفراد لا يفكر كل منكم فى سوى ذاته إلى البلايا والمحن والمذلات.

من الطيور أنواع ضعيفة جداً «كعصفور الجنة والزرزور» ، إلا أنه لا ينقض الطير الجارح على أحدهما حتى تتجمع أفراده وتطارده فتنجو منه بفعل المجموع .

فتشبهوا – والحالة هذه – بكلا النوعين المشار إليهما ؛ فإن من ينفصل منكم عن إخوته يكتنفه الخوف ويحل به الوجل. نعم تشبهوا بهما حتى إن سُئلتم ما عددكم ؟ يكن جوابكم إننا واحد .. مجموعنا فرد .. وفردنا مجموع .

* * *

لم يخلق الله كبيراً ووضيعًا ، وسيداً وعبداً ، وملكًا ورعية ، بل إنه أوجد الجميع متساوين .

غير أنهُ بينهم من هو أقوى عضداً . أو أوفر عقلاً . وأشد جسماً أو أثبت إرادة فيداخلهم الطمع . وتتمكن الكبرياء منهم . فيسعون إلى جعل سواهم عبيداً لهم .

وهى حالة احتيط لها فأُوصى بنو الإنسان بأن يحب بعضهم بعضاً كى يتحدوا . فلا يئن الضعيف تحت نير القوى ولا يهضم هذا حقوق ذاك .

إنها لنظرية بديهية . فإنه من كان أقوى من واحد لا يقوى على اثنين . ومن كان أقوى من اثنين يغدو ضعيفًا إزاء أربعة .

ولا سبيل والحالة هذه إلى حفظ التوازن إلا التمسك بالمحبة والاتحاد ؛ فإنهما الضمانة للحقوق كافة فيسمى الجميع متوحدين .

* * *

حدث مرة أن سائحًا كان يجتاز طريقًا فى سفح جبل فاعترضه صخر عظيم فتلفت حوله لعله يجد طريقًا سواها فلم يجد عداها فعالجه بغية إزاحته ففشل فتولاه القنوط وأخذ يفكر فى مآله لا سيما وقد أدركه الغسق وليس في جرابه قوت ولا فى إنائه ماء . وفيما هو كذلك وقد أخذ يعمل للضوارى ألف حساب وافاه سائح ثانٍ وأتى ما أتاه ولكنه أعيى فجلس إلى جانب رفيقه مكتئبًا ثم أقبل بعده آخرون تباعًا فعجزوا فحاروا فخطر على أحدهم خاطر فوقف بينهم قائلاً : ليتولَّ مجموعنا ما عجز عنه الفرد ؛ فنهضوا وقد حل بهم الأمل ومكنوا أيديهم من الصخر فدان لهم وهم عصبة فاستأنفوا سيرهم آمنين . إذا ثبت ذلك – وهو الواقع – فاعلموا أن السائح إنما هو الإنسان. والسياحة هى الحياة . والصخر هو المتاعب التى يصادفها ذاك الإنسان ، ولكنها متاعب يهونها عليه التعاضد ويزيلها الاتحاد .

٨

كان العمل فى البدء غير ضرورى للإنسان ليعيش . فإن الأرض كانت تدر عليه الخيرات سادة حاجاته . ولكنه عبث بهذا النظام الذى هو السعادة ومال إلى الشر فأتاه . فثارت عليه الأرض لشقه عصا الطاعة على الخالق . فكان مآله مآل الابن الذى عق والده فتخلى عنه فأمسك خدم الدار عن خدمته فسعى باحثًا هنا وهناك عما يقوم بأوده آكلاً خبزه بعرق جبينه .

أتى الإنسان الشر فحكم عليه بالعمل جسميًا كان أو عقليًا ، ماديًا أو أدبيًا ، وهو حكم ملازم للأجيال المطردة منفذ فيها على الشعوب المتعاقبة ، ويا ويل من يخرج عن دائرة هذا الحكم قائلاً : إننى لا أريد أن أعمل . فإنه يغدو أشقى الناس حالاً .

ولا غرو فإنه إن لم تكتنفه العيوب التى تقتل أدبياته وتفتك بها فتك الديدان تولاه السأم القاتل والضجر المميت. غير أنه أبى الله أن يمنح الإنسان مقاصاة عن ذاك الحكم فجعل فى العمل كنزًا .

فأصبح الإنسان الحكيم الذى يحسن التصرف فى عمله ولا يبدد ثمرته تبديد المتهوس - كالإنسان الأول .

ولما كان بين الناس الضعيف والقوى والسليم والمعطوب ، وكان يجب أن يعيش الجميع عملاً بناموس الوجود فقد أوصاهم الخالق قائلاً :

ليساعد بعضكم بعضًا فأزيد القوى منكم قوة . والآخذ بيد الضعيف خيراً . وقد تحققت الكلمة وعاش الإنسان سعيداً . ولكنها سعادة صادفت أطماعًا فتقلصت . وليست هذه الأطماع سوى أنه حدث أنه كان هنالك رجل مفتول الساعد قوى العضد يكره العمل فُلعن فقال : ماذا أفعل ؟ وهل أنا إن لم أشتغل أمت جوعا ؟...

وللحال بدا له خاطر فانقض على بعض إخوته ليلاً وكبلهم بالحديد قائلاً : أننى سأسوقهم إلى العمل سوقًا . فأتمتع بثمرة كدهم تمتعًا أحسد عليه . وقد ساقهم فعلاً كما أشار . فاقتدى به آخرون فسقطت الوحدة وانفصمت عروة الإخاء وحل البغض محل الحب وأصبح الجميع سيداً ومسوداً . فانسدل ستار أسود على المسكونة .

وحدث بعد ذلك أن رجلاً أقوى من ذاك وأكثر منه ميلاً إلى الشر عاين أن بنى الإنسان فى تكاثر فقال فى نفسه لأقودن عدداً وافراً من هؤلاء وأكرهنهم على العمل لأجلي ، ولكنه أمر يستدعى إطعامهم وهذا ما يقلل دخلى بل لأكرهنهم على هذا العمل بدون إطعام حتى إذا هلكوا استعضت عنهم بسواهم . وكان بنو الإنسان يعيشون من ثمرة عملهم فأغوى نفراً منهم قائلاً :

إنكم تشتغلون ست ساعات مقابل قطعة من النقود فاشتغلوا اثنتى عشرة ساعة فتربحوا قطعتين فتعيشوا مع نويكم سعداء . فلم يفطنوا لدخيلة الأمر وصدقوه فأتى إليهم بعد حين قائلاً :

إنكم لا تشتغلون سوى نصف السنة فاشتغلوا مدتها كلها فيتضاعف ربحكم . فصدقوه أيضاً .

فأصبح العمل أقل من العمال ، وبات الذين كانوا يعيشون من كدهم بلا عمل. فأتى إليهم للمرة الثالثة قائلاً:

إننى سأوزع العمل على الجميع فى نظير إبقاء ساعات الشغل على حالها وتنزيل الكراء إلى النصف . ولما كان الجوع قد أصابهم فقد قبل الجميع بما بسطه لهم رجل الشر ناعتين إياه برجل الخير . ثم إنه استمر يخدعهم بالوسيلة ذاتها مزيداً ساعات العمل ومنقصاً أجرته حتى وهنوا تحت تأثير العناء وحل بهم الفناء . فاستعيضوا بسواهم على التعاقب وكانوا يشتغلون فى نظير كسرة يسدون بها الرمق فجمع مالاً لم يجمعه سلفه .

* * *

واسم هذا الخلف هو «الظالم» أما ذاك السلف فإنه يتقلب فى سقر .

٩

إنك كغريب يا أيها الإنسان فى هذا العالم . فإنك إن جبت أركانه وضربت فى طوله وعرضه وجدت حيثما حللت إنساناً يطاردك فيطردك قائلاً لك إن هذا المكان إنما هو لى فتعود على أعقابك واثقًا بأنه ليس لك فى الأرض موضع ثابت تقضى فيه حياتك مع نويك ، ولكن مهلاً ولا تيأس فقد كتب لواضع شريعة الحب وحض عليه : للثعلب مأوى وللطائر وكر ، ولكن ليس لابن الإنسان مكان يضع فيه رأسه فيريحه . فهو قد رغب والحالة هذه فى البؤس كى يعودك احتماله .

وليس هذا البؤس بصادر عن الخالق ، بل إنه ثمرة الطغيان والأهواء المؤديين إلى إيجاد البائسين فى صفوف الهيئة الاجتماعية .

وهى حالة تدوم ما دام الإنسان لا يستأصل الخطيئة فى نفسه . ولا يتراجع عن الميل إلى الاستعباد . لا تسلب ما لسواك كما هو الواقع فيزداد عدد البائسين بدلاً من أن يقل ، بل اقتل الخطيئة فى نفسك فيقتلها بنو نوعك أيضاً فتطهر النفوس فيتلاشى الاستعباد ويستأصل البؤس .

لكل إنسان الحق فى أن يحافظ على ماله وإلا بات الجميع لا يملكون شيئًا . وله أن يشتغل أيضًا دفعًا للبؤس.

فحرروا العمل إذن . وحرروا نفوسكم فينحصر البؤس ضمن النطاق الذى وضعه الله تذكيراً لعجز الإنسان وإشارة إلى التعضيد الوجوبى وتمسكًا بالمحبة المفروضة .

١٠

لما كان العالم الأرضى يئن متطلعًا إلى الخلاص فى ثنايا المستقبل سُمع صوت من اليهودية قائلاً :

تعالوا إلىَّ أيها المتعبون والثقيلو الأحمال وأنا أريحكم.

فبات معتمدو هذا القول واثقين براحتهم فإنهم يجدون به التعزية فى ظلمات بؤسهم .

ولا غرو فقد حارب ذاك المعاصر لبيلاطس الأدواء الأدبية التى تكتنف الإنسانية فحض على التمسك بالعدل فإنه رأس الإحسان . وأوصى بهذا الإحسان فإنه المرمى الذى يرمى إليه ذاك العدل .

* * *

من نصوص العدل تقديس حق الغير . واحترامه وعدم العبث به والابتعاد عن التطلع إليه . ويقضى الإحسان أحيانًا بتجريد الذات من هذا الحق رغبة فى سلام يسود أو سعادة تتم . نعم يقضى كلاهما بذلك إذ ماذا يحدث فى الأرض إن لم يسد هذا الحق ولم يكن الإنسان مطمئنًا على نفسه ولا يمكنه التمتع بماله وهو آمن ؟

وماذا يحدث فيها إن لم يمنح هذا الحق أحياناً إلى السوى برضى صاحبه ؟

إنه ليحدث فيها ما تؤثر معه الحياة في بطون الغابات على البقاء ضمن قوم مستسلمين إلى النهب واغتيال الحقوق اللذين يصير معهما الإنسان إلى أقصى حالات الفوضى والشقاء . فإن ما يستولى هذا عليه اليوم يغتصبه ذاك منه فى الغد .

* * *

من هو الفقير ، وماذا يبغى ؟

سؤال يصدر عن القلب المتألم محدثاً فيه القلوب فلا يجد منها إلا صمت الذهول والحيرة فيسرع الفكر السليم إلى الإجابة قائلاً : الفقير هو الذى لا يملك عقاراً ويبغى التخلص من بلايا البؤس التى تكتنفه . وما دام ذلك كذلك فإن من يغتال وينهب ويغتصب إنما هو الإنسان الجهول الذى يسعى إلى إضاعة حقه بنفسه . فإنه لا يعد فقط غير مالك لما اغتصب ، بل إنه يعرض ماله إلى الضياع أيضاً . ولا غرو فإن عبثه بحق غيره الضعيف يدعو إلى عبث الأقوى منه بحقه أيضاً . فأفعال اغتصب ونهب واغتال وسرق وما شاكلها ويفيد معناها إنما هى تشير إلى وقوع الفعل على الغنى والفقير والضعيف والقوى على السواء .

فقل إذن بأنها معاول الدمار التى تهدم أساس الجامعة على الإطلاق . النظام هو الخير . وفى التعامل به مصلحة الجميع .

١١

ورأينا الشرور تكتنف المسكونة والضعيف ذليلاً مستعبداً والعادل يسعى إلى قوته سائلاً والشرير محترمًا مبجلاً واللص مرعيًا مهابًا والمغتصب سائدًا والبرىء متهمًا والمتهم بريئًا والمنحط سائدًا والرفيع مسودًا فحل بنا الحزن وتصرم منا حبل الأمل وأدركنا السبات فلاح لنا جسم نورانى بعث بأنظاره إلى أعماق أفكارنا فاختلجنا اختلاج الحزن والفرح فسألنا قائلاً : ما داعى الحزن ؟ فأجبنا : إنما هو الشرور المكتنفة الأرض . فابتسم وهمس قائلاً : مسكين الإنسان فإن عينه تميز الأشياء من خلال ذلك النطاق الغاش الذى دعته الخلائق بالزمن . فقلنا إنه لزمن مهيب . قال مهلاً أيها الإنسان وثق بأنه لك أنت . أما الله فلا زمن له . فصمتنا مندهشين لأننا لم نفهم من الجملة الأخيرة شيئًا ففاجأنا قائلاً :

انظر يا أيها الإنسان . فشعرنا كأننا نتجرد من نواتنا وانفتح أمامنا الوجود كله فرأينا فى آن واحد تلك الفصول الثلاثة التى عرَّفها الإنسان بالماضى والحاضر والمستقبل أى أننا رأيناها واحداً . فتمثلت لنا البشرية كلها فى شخص واحد أتى كثيراً من الشر وقليلاً من الخير واكتنفته شتى الآلام ولم يذق من ملذات الأفراح إلا ما ندر – تمثل لنا بائسًا ملقى تارة على أرض محرقة وتارة على أرض ثلجية . تمثل لنا

جائعًا سقيمًا هزيلاً متقلبًا رعديداً مثقلاً بالأصفاد والقيود التى تضيق عليه كلما أتى حركة فتتمكن من لجمه. وللحال انبثقت أشعة النور من المشرق والمحبة من الجنوب والقوة من الشمال ثم اجتمعت متعارضة على قلب ذلك الشخص ألا وهو الإنسان ، ولكنها ما لبثت حتى أخذت أشعة النور فى التقلص فقال قائل : اعرف يا ابن الإنسان ما يجب أن تعرف !

ثم أخذت المحبة فى التلاشى فقال قائل : حب يا ابن الإنسان من يجب أن تحب !

ثم تلتها أشعة القوة فقال قائل : افعل يا ابن الإنسان ما يجب أن يُفعل ، ومن ثم توحدت الأصوات قائلة : أطع الله يا ابن الإنسان ولا تعبد الاه ولا تتخذ دونه بديلاً.

وحينئذٍ لاح لنا أن ذاك الإنسان الذى كان فرداً إنما هو مجموع أمم وشعوب استيقظت فرأت أنها على فراش الآلام فتساءل أفرادها قائلين :

ما مصدر الآلام المضعفة لقوانا ، والجوع الحال بنا ، والعطش المجفف لألسنتنا ، والأصفاد المثقلة كواهلنا ، فأحنت منا القامات وأثرت فى العظام بعد أن نفذت من اللحم ؟

تساءلوا عن مصدر هذا كله فانبلجت أشعة الذكاء فيهم فأدركوا أن هذا المصدر إنما هو العبودية التى لم تفرض على خليقة . فحاول كل منهم فصم سلاسله وأغلاله فلم يفلح. فنظر بعضهم إلى بعض حيارى مشفقين على أنفسهم. فتخاطبوا قائلين وقد مستهم عاطفة المحبة

المتبادلة لما كانوا فيه : لنوحد قلوبنا ما دام الفكر المستولى على مجموعنا واحداً ، ولنسع فى الخلاص العام الذى يجب أن نناله أو نموت فى سبيله معًا .

ولم تمض على ذلك فترة حتى سمعنا قعقعة السلاح وتصادم الحديد فتلتهما حرب ضروس قامت بينهم وبين مقيديهم مدة ستة أيام نال فى ختامها النازعون إلى التحرر النصر. فقرروا أن يكون اليوم السابع يومًا أبديًا للراحة .

وتحولت الأرض التى كانت يابسة مجدبة إلى رياض خضراءَ تهافت الجميع على الانتفاع من خيراتها ضمن نطاق العدل وجالوا فيها أحراراً رافعى الرؤوس غير مصادفين معارضة ولا ملاقين مطاردة متهادين الخيرات متبادلين المنافع عائشين فى ظل الغبطة والسلام والمحبة .

وفيما هم كذلك نادى منادٍ من الأعالى قائلاً :

المجد لله الذى منح الإنسان الذكاء والمحبة والقوة . المجد لتلك الروح الأسمى التى أعادت إليه الحرية .

١٢

إذا تألم إنسان من حيف حل به . أو ظلمهُ عاتٍ وشكا فذهبت شكواه بدون جدوى ؛ لأنها لا تسمعها أذن إنسان ، ولكنها إن كان يُغضى عنها من الإنسان فإنها تصل إلى الخالق .

نظرية ناجينا أنفسنا بها مناجاة ختمناها متسائلين :

أرغب الذى خلق الفقير كالغنى . والضعيف كالقوى فى أن لا يخشى الباغون عاقبة بغيهم ، وإن يحرم المضطهدون والبائسون من أشعة الأمل التى تخفف من حالهم .

ولكننا ما لبثنا حتى ارتجفنا لهذا الخاطر فإنه تجديف على الخالق . وما عتمنا حتى حدثتنا قلوبنا قائلة :

إن مصدر تلك الحالة التى نعانيها من الغبن الفاشى إنما هو :

إن كلاً من الخلائق لا يحب سوى ذاته . وإنه منفصل عن بنى نوعه . ويرغب فى أن يكون منفرداً لا يسمع له صوت بين ضوضاء التنازع .

* * *

لما يقبل الربيع باعثًا الحياة فى الأشياء كلها يخرج من باطن الأعشاب طنين يصدر عن عدد لا يحصى من الحشرات الدقيقة التى لا تُرى .

وهى إن انقسم بعضها على بعض فتفرقت فانفرد كل منها عن مجموعها بات صوتها لا يُسمع أصلاً .

وأنتم كهذه الحشرات فدعونا نسمع صوتكم .

إنكم تجبنون عن اجتياز الجدول ذى التيار الشديد وأنتم أفراد مبعثرون . ولكنكم متى تماسكتم يداخلكم الاطمئنان فتجتازوا تلك المعابر الخشبية الملقاة على سطح الماء فتتغلبوا عليه .

فليكن هذا شأنكم مع مضطهديكم ؛ فإن تيار استبدادهم يجرفكم وأنتم أفراد متفرقون فيفنيكم .

ليكن عزمكم ثابتًا أساسه الروية . ووحدتكم قوية رابطتها المنفعة المتبادلة . وقلوبكم خالية من الأحقاد للمصلحة العامة ، حتى إذا نهضتم - ولابد لكم من ذلك - لمحق الظلم وإبادة الشر وكسر قيود الاستبداد وملاشاة الاستعباد - حاربتم ممثلى هذا كله وقلوبكم لا تهاب الموت وأقدامكم لا تعرف سوى التقدم ؛ فإن فى هذه الحرب إما الظفر مع الحرية وإما الموت مع الخلود .

١٣

الليل حالك ولا يشاهد فى السماء كوكب يلمع . فهى للأرض كالرخامة السوداء . والسكون شامل لا يشوشه شيء ، والطبيعة هادئة ساكنة تلقى الجزع فى قلب السارى المنفرد .

* * *

اشتد الظلام فانقبضت النفوس وسرت رجفة فى الأجسام ، وسمع حفيف خفى فى الفضاء فتثلجت الأعضاء وانبثق نور أحمر ضئيل من قاعة مكسوة بالسواد ، فتطلعت النفوس إلى معرفة ما هناك .

* * *

هناك سبعة رجال مرتدين أرجوانًا وعلى هامتهم تيجان قد جلسوا فى مقاعد من حديد . وهناك فى وسط القاعة عرش من عظام على مرفائه صليب مقلوب وأمامه منضدة من الأبنوس عليها جمجمة إنسان وإناء طافح بالدماء . وكان الرجال السبعة مفكرين تبدو عليهم سيماء الانقباض وتنبعث من أعينهم شهب تدل على ما كانوا عليه من القلق ، ثم نهض أحدهم واقترب من العرش مضطربًا . ووضع قدمه على الصليب

فاعترته رجفة شديدة وكاد يسقط مغشياً عليه . وكان زملاؤه ينظرون إليه وهم لا يبدون حركة .

غير أننا لا نعرف ماذا مس جبهاتهم . ولاحت ابتسامة خفيفة على شفاههم ، ولكنها لم تكن ابتسامة الإنسان . ومد ذاك الذى شعر بالخور يده الى الجمجمة وتناولها ، ثم إنه ملأها بالدماء وشربها . فبدت عليه دلائل الانتعاش والقوة ورفع رأسه وصاح بصوت أجش قائلاً :

ليكن ملعونًا الناصرى الذى بسط الحرية على العالم . فنهض زملاؤه واقفين وكرروا نفس القول ، ثم أنهم جلسوا فى أمكنتهم ثانية .

وقال أولهم : ما هى الإجراءات التى يجب أن نتخذها لقتل الحرية التى تقلص ظل دولتنا ؟ ليبسط كل منا رأيه فإن دعوانا واحدة وغرضنا واحد . ولما كان ذلك كذلك فإننى أبدأ قائلاً :

لقد كنا الأسياد المطاعين الذين لا ترد لهم كلمة قبل مجىء الناصرى فلنقتلن إذن تعاليمه قبل أن تقتلنا .

فصاح الجميع : نعم لنقتلن هذه التعاليم فإنها تيار الاشتراكية الجارف لعروشنا الممثلة للسلطة المطلقة ، ثم إنه جلس فاتجه ثانيهم نحو الجمجمة وشرب الدماء بها قائلاً :

لنقتلن ليس هذه التعاليم فقط بل لنقتلها مع العلم والفكر فإنه إذا كانت تلك التعاليم تجعل من القطعان البشرية فلاسفة يهزأون بسلطتنا فإن العلم يفهم هذه القطعان حقوقها . فهو السلاح المرهف المشهور على

سيادتنا ، كما أن الفكر إنما هو الروح القوية التى تهزأ بنفوذنا ولا يعوقها مجموع قوانا .

فصاح جميعهم : نعم لنقتلن الدين والعلم والفكر ؛ فإنها الكلمات الثلاث المهددة باقتلاع شجرة صولتنا من أصولها .

ثم إنه جلس فتلاه ثالثهم قائلاً - بعد أن شرب الدماء أيضًا - إننا متى جردنا البشرية من الدين والعلم والفكر ألقينا بها ثانية إلى أعماق البهيمية ؛ أى أننا نكون قد عملنا كثيراً إلا أنه يبقى هناك عمل أهم وهو أن للبهيم وجدانًا إن حرك ثار ، وأميالاً إن أثيرت قتلت ؛ فيجب أن نقيم بين ذاك وهذه وبواعث إثارتها برزخًا .

أى لنضربن بين الشعب والشعب نطاقًا من الحجب لا يمزق ؛ فلا يسمع الواحد منهما صوت الثانى حتى إذا ثار أحدهما مطالبًا بحقوقه لا يقتفى الثانى أثره . نعم لنسهرن على ذلك فلا ندع لضوضاء الشعوب الأخر سبيلاً إلى الوصول إلى داخلياتنا . فصاح الجميع متحمسين ، نعم لنفعل ذلك فنكن آمنين على عروشنا . ثم وقف رابعهم قائلاً : إن لنا مصالح وللشعوب مصالح أيضًا غير أن الأولى تعارض الثانية وتناقضها ؛ فإذا اتحدت الشعوب للدفاع عن مصالحها سُحقنا فما هى الوسيلة المؤدية إلى عدم خشيتها ؟ لنقسمنها فنحكمن . لنجعلن لكل مقاطعة ومدينة وقرية مصلحة تعارض سائر مصالح المقاطعات والمدن والقرى . فتتحاقد فلا يتحدون علينا .

فصاح الجميع ، نعم لنفرق فنسد ، فإن وحدة الشعوب تقتلنا ، ثم قال خامسهم وإن كانت هذه القرارات كلها صائبة ، ولكننى أعدها

غير كافية . فلنضف إليها إذن إلقاء الرعب بين الأفراد ونشر الروع فى صفوفهم وبث الجموع فى قلوبهم وإيقاع شتى العذابات عليهم كى لا ينقضوا عاجلاً أو آجلاً عليكم فيفترسوكم . نعم أضيفوا ذلك إلى ما سبق من القرارات إذ ذكروا أنه لا يؤيد الأمير فى عرشه سوى جلاده .

فصاح الجميع ، إن الرأى لصائب وإنا له لمصدقون .

ثم قال سادسهم : إننى منبهكم إلى أن هناك نفوساً قوية تسخر بالعذابات وقد تولاها القنوط فلا تعير الشدة أقل اهتمام . ولما كنا نبغى الجلوس فى عروشنا آمنين فلنقتل فى الأمم قوة النفس ونحل منهم العزم ونفل منهم الإرادة ملقين إياهم إلى تيار الفسق والفحش والفجور قاتلين فيهم الفضيلة التى لا تهمنا إلا من حيث إنها تمنح الضعيف قوة ووضيع المركز شمماً والبائس تعزية وسعادة .

فصاح الجميع مؤمنين على ذلك ، ثم قام سابعهم فشرب الدماء بدوره وقال وقد وطئ رمز المحبة بقدمه ، إن الحرب لقائمة بيننا وبينك أيها الناصرى وهى حرب أبدية ، ثم إنه التفت إلى رفقائه وعطف قائلاً إن الشعوب الأمينة لعدونا لعديدة فيجب فصلها عنه ولا سبيل إلى ذلك إلا باستمالة الكهنة ممثليه إلينا . فإنهم مطاعون منها ، وهى تعمل بإشارتهم فهى آلة فى أيديهم فإن قلنا لهم دعوا الشعوب تخضع لنا باسم المسيح فعلوا ، وإن أوحينا إليهم بأن يجعلوا منها أرقاء لنا لا يردون لنا قولاً ، قبلوا . وهذا كله فى نظير نِعَم نغدقها عليهم كعقارات توهب ونفوذ يمنح وخيرات تدر عليهم . وثقوا بأنهم سيبيعوننا نفوسهم

وسلطتهم مقابل هذه العطايا فتمتثل الشعوب لهم (أى لنا) وهى آمنة عمياء . فنثبت نحن فى عروشنا ، ونكون أكثر من آمنين على تقاليدنا ومبادئنا .

فصاح الجميع وقد أدركوا مقدار الفوائد العائدة عليهم من وراء هذا الخاطر الأخير : لنسعين إذن بادئ ذى بدء فى استمالة رجال الدين إلينا فإنه العمل الأعظم الذى يتلوه ما قررنا من كل عمل عظيم . وفى الهنيهة نفسها دوى فى الفضاء رعد قاصف أوجف القلوب تلته زعازع هبت فهزت أركان المكان فنظر المتآمرون بعضهم إلى بعض حيارى متجلدين تجلداً مستمداً من الأطماع والأهواء التى انسدل عليها ستار حالك من الظلمة فإن المصباح الذى كان يضيئهم قد انطفأ فجأة فتفرقوا صامتين .

وبينما كان الحال كذلك كان هناك إنسان عادل ساهر وقد جثا وأخذ يصلى وفيما المؤتمرون يصغون لهزيم الرعد وصفير الزعازع سمع هو قائلاً يقول :

لقد أزفت الساعة فصلٍ ولا تخش شيئًا .

١٤

ورأينا خلال حجاب الضباب الكثيف المنتشر سهلاً مقفراً مجدباً في وسطه صخرة مرتفعة تتساقط من قمتها نقط من ماء أسود كان لا يسمع سوى صوت تساقطها على قاعدة هذه الصخرة . وكانت الصخرة شبه محور لسبع طرق معوجة ونقطة تجمعها .

وكانت كل طريق منها تنتهى إلى حجر معشب .

ولاح لنا في مسلك من هذه المسالك شبح يتحرك متقدمًا ببطء فحدقنا إليه فلم نشاهد الإنسان بل شبيه الإنسان . وقد لاحظنا في مكان القلب من هذا الشبيه آثار دماء .

وقد تابع مسيره حتى إذا وصل إلى الحجر الذى هو نهاية سبيله جلس عليه وهو يرتعد برداً ، ثم إنه أحنى رأسه إلى صدره ، وأخذ يدلك جسمه بكلتا راحتيه توليداً للحرارة .

ولم يلبث حتى شاهد ستة أشباح أخر تتقدم فى المسالك الستة ، ثم إنهم جلسوا بدورهم على تلك الأحجار وهم يرتجفون .

وقد جلسوا صامتين منحنين تحت تأثير اكتآب عميق .

وقد طال صمتهم الذى لم يتسن لنا تمييز مدته فإن الشمس لا تضيء هذا السهل ، كما أنها لا تعكس أشعتها على ربوعه وأرجائه فلا يعرف فيه ليل أو نهار .

وظلت النقط السوداء تتساقط من قمة الصخرة فعلمنا من استمرار تساقطها أن مدة ذاك الصمت قد طالت .

ولكنهم لم يلبثوا حتى اشتدت تشنجاتهم فرفع أحدهم رأسه بجهد وصدر عنه صوت كصوت الهواء متخللاً غابة فدوى فى داخلها .

فردد إلينا الصوت قائلاً :

لقد انتصر الناصرى علينا فليكن ملعوناً . فاختلج الستة الباقون وكرروا التجديف نفسه .

وما عتموا حتى اضطربوا أشد اضطراب . فزاد حجاب الضباب كثافة وانقطع تساقط النقط .

فغاصوا ثانية فى لجة إكتآبهم الشديد وصمتهم العميق ، ولم يُبدوا حركة .

غير أنهم عادوا فتبادلوا نظرة التخاذل الساحق ، ثم قال أحدهم :

إننا نفذنا قراراتنا بأجمعها . فقال ثانيهم :

إن الإيمان والفكر قد كسرا أصفاد الشعوب وحرر المسكونة . فقال ثالثهم :

إننا أردنا أن نفرق فنسود فجمعتهم شدتنا ووحّدتهم فظفروا بنا . فقال رابعهم :

إننا سفكنا الدماء أنهاراً فسقطت هذه الدماء على رؤوسنا . فقال خامسهم :

إننا ألقينا بذار الفجور فنبت فينا ونما فنخر العظام . فقال سادسهم :

إننا أردنا قتل الحرية فثارت على سلطتنا فلاشتها ملاشاة . فقال سابعهم :

إن الناصرى قد انتصر فليكن ملعوناً . فأعاد الباقون القول نفسه .

فامتدت يد خلال الضباب نحو الصخرة وغمست إصبعها فى الماء الأسود وطبعته على جباه السبعة واصمة إياهم بوصمة سوداء أبدية .

١٥

الحيـاة محـدودة وهى يـوم أو أكثر . فاجتهدوا فى أن تقضوها فى ظل السلام .

والسـلام هـو ثمرة المحبة . والمحبة تستدعى التضحية التى لولاها ما سعد امرؤ قط .

ينشد الكل الحياة ضمن نطاق هذا السلام ، ولكنها حياة مقيدة بمعرفة احتمال أمور عدة والصبر على شدائد شتى .

الكمال فوق الإنسان . ولكل امرئ نقصان ، وهو ما يجعل الفرد ثقيلا على بنى نوعه ، إلا أنه لثقل يلطفه نقصان المجموع وتخففه المحبة المتبادلة .

لا تتساءلوا كيف ذلك فأنا مجيبكم .

أيحتمل بنو نوعكم الواحد منكم إن لم يحتملهم هو ؟

الاحتمال وجوبى التبادل للسلام والتعاضد . ولا احتمال بدون محبة . فإنها مصدره . فاجتهدوا إذن فى أن تتحابوا تحابا يجمعكم وأنتم أحياء فتقدس ذكراكم وأنتم أموات . ولا تخالوا أن فى ذلك غلواً . فإن المحبة هى الصفة الفعلية التى لا يجف لها معين ، ولا يطرأ عليها فتور ؛

إذ إنها حية فى ذاتها نامية بطبيعتها ، غير قابلة للموت لعدم كمال الإنسان ، وهى تزداد قوة كلما زدتم تعلقًا بها . من أحب منكم ذاته أكثر من أخيه فَقَدَ محبة أخيه له . ومن أحب يعط ماله . ومتى وهب ماله أوقف حياته أيضًا . وله من المحبة أعظم كفيل يعيد إليه ما أعطى وما أوقف .

الحق أقول لكم : إن من أحب كان قلبه له بمثابة نعيم على الأرض . غير أن هناك من لا يحب ، وهو ذاك الإنسان الذى يطمع . إنه جائع ومتعطش إلى كل شىء ؛ فهو والحالة هذه الإنسان الذى تنبعث من عينيه أشعة الاستهواء ليفترس ؛ فهو والثعبان سواء .

ولا عجب من ذلك . فإن المحبة تحوم حول النفوس ، حتى إذا صادفت النقى منها حلت بها . فهى إذن كنقطة الندى التى تبدو متلألئة فى طيات الأزهار الزاهرة .

تقولون إنكم تحبون مع أن الخبز ينقص إخوتكم فيتضورون جوعًا . وليست الثياب بساترة لأجسامهم فيسيرون عرايا . ولا سقف يأويهم فلا مأوى لهم . ولا قش لديهم فينامون على الطوى . تقولون ذلك وفيما هم كذلك تتمتعون أنتم بما لديكم من وافر الخيرات والنعم .

تقولون ذلك والكثيرون من إخوتكم المرضى يتقلبون ألمًا غير ملاقين تعضيدًا أو إسعافًا .

تقولون ذلك والكثيرون منهم يبكون شقاءً فلا يجدون من يبكى لبكائهم .

تقولون ذلك وهناك أطفال يحصدهم الموت بمنجل الجوع والبرد .

تقولون ذلك وهناك بائسون يفنيهم إمساك الموسرين عن العطف عليهم .

تقولون ذلك وأمركم كذلك مع إخوتكم فماذا يكون شأنكم معهم لو كنتم تبغضونهم ؟

الحق أقول لكم : إن من يمكنه الأخذ بيد أخيه ويغضى عن ذلك كان لهذا الأخ عدواً . ومن كان فى استطاعته إطعام أخيه ولا يقدم على ذلك كان له قاتلاً .

١٦

فى الوجود أناس لا يحبون الله ولا يخشونه أبداً . فتحاشهم يا أيها الإنسان فإنهُ ينبعث منهم بخار اللعنة . تجنبهم فإن تنفسهم قاتل ولا تحقد عليهم ؛ إذ لعل الله يكون رحيماً لهم . غالبًا يُخدع الإنسان ذو القصد الحسن القائل بأنه لا يؤمن أبداً ؛ إذ إن هناك فى أعماق نفسه أصول إيمان لا تيبس أصلاً .

تمس الكلمة التى تنكر الله الشفاه فتحرقها . والفم اللافظ للتجديف هو مصراع الجحيم .

الجاحد وحيد فى العالم . والإيمان يضم البشر الذين يمجدون الله . يشعر بهِ فيبارك . ويفكر فيه فيعبد . يسبحه جرم النهار الساطع . وترتل له كواكبُ الليل الثواقب ، وهما تسبيح وترتيل يصدران بلغة خفية . نقش اسمه المجيد على صحيفة السماء فقال :

المجد لله فى العلى .

وسطره على بساط المسكونة فقال :

على الأرض السلام .

وكتبه على قلب الإنسان فقال :

فى النفس المسرة .

فحافظ البعض عليه . وسعى البعض الآخر فى محوه. وقد منح ذاك السلام للجميع فتمسك به محبوه.

ولذا فهم جامعون بين سعادة اليقظة ، ولذة النوم ، وهدوء الموت .

* * *

يأزف الغروب فيغادر الحارث حقله قاصداً إلى مأواه فيجلس أمام داره ناسياً عناءه لتسريح نظره فى جوانب السماء .

وهذا شأن ذى الأمل . فإنه يعود مساءً إلى منزله مبتهجًا ناسيًا مشاق النصب – الذى أوقعته فيه خطيئة الإنسان الأول – لما هو منبسط أمام نظره من محاسن الأبدية وآمال الآخرة وجلائل البقاء .

١٧

هناك رجلان متجاوران . كان لكل منهما امرأة وأولاد وليس لهما سوى العمل مصدراً للحياة . وكان أحدهما قلقًا حزينًا قائلاً فى ذاته ماذا يكون مآل نوىً إثر موتى ولا معين لهم سواى ؟ وقد تمكنت هذه الفكرة من نفسه فلم تفارقه . وجعلت تنخر قلبه نخر الدودة للثمرة .

وقد أبدى هذا الخاطر نفسه لجاره أيضًا ، ولكنه لم يدع له سلطانًا عليه فإنه كان يكافحه دائمًا بقوله :

إن اللـه عليم بمخلوقاته وساهر عليها فهو إذن شامل إياى ونوىً بعنايته . وبينا كان الأول يتقلب على أسنة الوساوس كان الثانى متنعماً بنعيم السعادة والغبطة والأمل. وقد ظل هذا شأنهما حتى شاهد الأول يوما وهو فى الحقل طيوراً تحلق حول عوسج ثم تهبط إليه وتتوارى داخله فتغادره لتعود إليه بعد قليل . فسعى إلى ذاك المكان فرأى داخل العوسج وكرين فيهما فراخ . فعاد واستأنف عمله وهو لا يتخلى بأنظاره عن تلك الطيور التى كانت تحوم فتعود بالحب إلى نتاجها . غير أنه ما لبث حتى رأى بازيًا منقضًا على أنثى منها وهى عبثًا تريد التخلص منه حتى إذا داناها أنشب مخالبه فيها وارتفع بها وهى تصيح .

فبغت صاحبنا وتولاه يأس شديد وطبق فكرته الملازمة له على ما رأى قائلاً إن افتراس الأنثى وهى الأم مؤدٍ إلى موت فراخها . فماذا يكون مآل نوىً حين أموت أنا ؟ وللحال انتشرت عليه كآبة لا توصف فتوقف عن عمله وقضى سحابة يومه منغصاً .

وقصد فى اليوم التالى إلى حقله وتوجه إلى العش وهو موقن أن غالب الفراخ قد هلك فدهش إذ وجد أنها حية وتوارى بغية الوقوف على معرفة السبب . فرأى أن أنثى النتاج الآخر قد أقبلت وزقت صغارها وصغار رفيقتها المفترسة على السواء . فروى ما عاين إلى جاره فى المساء .

فأجابه جاره قائلاً : إن ذلك لمما يزيل كل قلق ودليل ثابت علَى أن الله لا ينسى مخلوقاته ، وأن لمحبته أسراراً لا تدركها . فلنؤمن ونؤمل ونحب ونسير فى طريقنا آمنين . حتى إذا متُ تكون أبًا لأولادى وإن قضيتَ أصبح لأولادك أبًا ، أما إذا أدركتنا المنية معًا فلهم من ربهم عائل وهو المحبة والحنو معًا .

١٨

يا أيها الإنسان ،

ألا تشعر إثر إتمام فرض الصلاة بجذل يحرك قلبك ومسرة تبهج نفسك ؟

إن الصلاة تخفف الشجن وتزيد الفرح . إنها تبث فى الحزين التعزية والقوة . وتضيف إلى النسمات التى يستنشقها الفرح شذى سماوياً .

ما هى منزلتك فى الوجود ؟ وماذا هو مرماك فى الحياة إن لم يك لديك مطالب تطلبها من ذاك الذى أوجدك؟

إنك كسائح باحث عن وطنه فلا تمش مطأطئَ الرأس لئلا تضل الطريق ، بل يجب أن تقوِّم هذا الرأس وترفع عينيك فتعرفها .

وطنك هو السماء وإن وجهت نظرك إليها شعرت بشيء خفى يتحرك فى داخلك .

لا تنكر ذلك فإنه إن لم تنم به شفتاك دلت عليه عيناك. وإن أمسكت عيناك عن إظهاره أشار إليه صمتك.

يقول البعض لماذا نصلى ؟ وما فائدة الصلاة والله بعيد عنا جداً فلا تصل إليه أقوالنا لما نحن عليه من الضعف ؟

ولكن هل من يجيد عمله يهمله ؟ أم أنه يهتم به فيعجب به إعجاباً يزداد كلما بعدت المسافة التي تفصل العمل عن عامله ؟

يبدو الرواء كمالياً أو شبه كمالى متى جعل الصانع بينه وبين عمله مسافة للتأمل والإمعان .

وقد أفرغ الله الإنسان على مثاله . منحه الإحساس ليشعر . والفكر ليناجى . والكلمة ليتكلم . فمن يقل – سراً أو جهراً – إن الله يحتقر صنعه – يجدف به . ويقول البعض الآخر ما الفائدة من الصلاة والله أكثر منا علماً بما نحن محتاجون إليه ؟

نعم إن الله أكثر منكم علماً بحاجاتكم ، ولذا فهو يريد أنكم تسألونه إياها فإنه أصل هذه الحاجات ، وهو أول من تحتاجون إليه .

يعرف الوالد احتياجات الولد ، ولكن أيكفى ذلك كى لا يحرك الثانى شفتيه للطلب ؟

إذ تألمت الضوارى أو دبَّ فيها الخوف أو حلَّ بها الجوع والعطش زأرت لا غاضبة ثائرة بل شاكية ناحبة فهى تبلغ شكواها للخالق فيصغى إليها .

فإن كان هذا مبلغ اهتمامه بالضوارى فكم يكون مبلغ اهتمامه بالإنسان ؟

الحق أقول لك يا أيها الإنسان : إن ما يصدر عنك من منافيات ذلك إنما هو لكبرياء منك ليست بخليقة بك ودافعة إياك إلى هاوية الهلاك .

تكتسح الرياح الشرقية الحارة أحيانًا الحقول فتيبس النباتات فتبدو سيقانها ، ولكنه لا يغشاها الندى وتهب عليها النسمات الباردة حتى تستعيد أزهارها وتقوِّم عيدانها .

وإن كان ذلك كذلك فهناك زعازع لاحفة أيضًا تهب على نفس الإنسان فتيبسها ، والصلاة إنما هى نقطة الندى التى تحييها .

١٩

ليس لك يا أيها الإنسان سوى سيد واحد ألا وهو الله . فإن نعت ناعت أولى النفوذ والسلطة بأنهم أسياد لك فلا تصدقهم أصلاً فإن هؤلاء المنعوتين إما أن يكونوا عادلين فيصبحون إخوانًا لك وإما أن لا يكونوا كذلك فيكونون ظالميك .

خلق الجميع متساوين وما من أحد ولد وهو ممنوح حق السيادة .

رأينا مرة مهدًا فيه طفل حوله شيوخ ركع قائلين له : يا مولانا ! فأدركنا مبلغ بؤس الإنسان . لما كان لم يحب بنو الإنسان بعضهم بعضًا فقد تبادلوا الأذية والضرر فانتخبوا من بينهم نفرًا ظنوا فيه العدل مجسمًا فيعيش الضعيف غير خاشٍ تعدّى القوى عليه ويحيا الغنى آمنًا على ماله ويشتغل الفقير فيجد ما يمنع عنه شدة الفاقة واستحكام حلقات الشقاء – قلنا ظنوا فيهم ذلك فبايعوهم عليهم حكامًا ، وهم واثقون بأنهم منفذون لأمر شرعى رامز إلى سلطة الخالق الراغب فى سيادة العدل وسلطة الشعب الذى وقع انتخابه عليهم فأصبح والحالة هذه أمر طاعتهم شرعيًا . غير أنه حدث أن هناك أناسًا رغبوا فى السلطة من تلقاء أنفسهم فما رسوها كما لو كانوا من طينة غير طينة بنى نوعهم فسادوا سيادة العتو والهوى فكتب نوع هذه السيادة على نفسه أنه غير شرعى .

وهى سيادة يرقبها المسودون حتى إذا آنسوا منها ضعفًا وثقوا بأنه لا ضرر يعود عليهم إذا هم حطموا حلقاتها تحطيماً - أمكن حينًا القيام بهذا التحطيم وتحتم حينًا آخر قلب تلك السيادة رأسًا على عقب . وهذا واجب فى هذه الحالة على المجموع والفرد على السواء .

ولا غرو فى ذلك إذ لك من الحق الطبيعى ما يجعل إرادتك راجحة على إرادة أولئك المستبدين ملوكًا كانوا أو أمراء . لا تستكبر هذا القول الذى هو الحقيقة الثابتة ؛ فإن أساسه هو الفرد الرامز إلى الشعوب التى تختار الملوك وتبايعهم وتنصبهم عليهم حكامًا . فلو لم تكن الشعوب ما كان الملوك ، بل إن مصدره إنما هو أن الملوك قد أقيموا بالشعوب ولأجل الشعوب . أما الشعوب فإنها لم تخلق للملوك . وليس هى لهم بل لله .

ولم يكوِّن الله الإنسان كى يطحن الحديد أعضاءه وتميت العبودية نفسه إنما هو قد صوره وضمه إلى بنى نوعه ضمن نطاق سام دعى بالعائلة . والعائلات أخوات ، ثم إنه ضم العائلات بعضها إلى بعض وألف منها الأمم . والأمم أخوات .

فإن فرق مفرق تلك العائلات والأمم بعضها عن بعض فقد تطاول على جامعة الخالق وعد عمله من أعمال الشر .

أما إذا جمع جامع بين العائلات والأمم وضم بعضها إلى بعض فقد قام بتنفيذ القانون الإلهى الذى هو العدالة والإحسان والحرية .

وقد قلت الحرية . فإنه لا جامعة بدونها . وإن مثلت هذه الجامعة مجردة من تلك الحرية كان مثلها مثل الجامعة التى تجمع الجواد الى الفارس وسوط السيد إلى لحم العبد.

فإن قال لك قائل إنك لى فأجبه بل إن كلينا لله .

٢٠

لا تدع للأباطيل تأثيراً فيك . ولا تستهدف لطلاء الكلام . ولا تجعل نفسك ألعوبة الأقوال . ولا تخدعها بما يقع عليه نظرك . أو يتطرق إلى سمعك . فإن هناك كثيرين يحاولون إقناعك بأنك حر متمتع بما لك من الحقوق الشرعية فيكتبون كلمة الحرية على الورق ويلصقونها على الجدران .

أولئك هم سعاة الشر المنذرون به ومروجو سلعة الاستعباد تحت قناع الحرية . فإياك وتصديقهم فإن الحرية ليست بإعلان يطالع على الجدران بل هي قوة حيوية يشعر الإنسان بسريانها في ذاته والسلام الذى تعيش العائلة في ظله والضمان الفعال لحقوق الإنسان الاجتماعية . والبند الأول من مجموعه هذه الحقوق المقدسة .

ولذا ينزل بالمستبد الذى يتخذ الحرية واسطة يتقى بها سهام لوامه ينزل به إلى أعماق الانحطاط الكلى . فإنه يضيف الكذب إلى الظلم إلى التشنيع . وقد قلنا التشنيع فإن من يمس الحرية وهى القداسة يكن قد شنع بها .

فاحذر والحالة هذه المتغنين قولاً بالحرية وهم بالفعل قاتلوها .

* * *

إن لم تكن أنت المنتخب لحكامك الذين يضعون النظامات لما لك وما عليك . فكيف تكون حراً ؟ كيف تكون حراً إن لم تستطع التصرف بمقتنياتك كما تشاء . وتربى أولادك كما تستدعيه مصلحتهم ؛ فتعهد بهم إلى من تعهد به الكفاءة لتعليمهم وتهذيبهم .

تتعاضد الحشرات والطيور للقيام بما لا قبل لها بعمله وهى آحاد فكيف تكون حراً إن لم تتحد مع بنى نوعك للبحث فى مصالحك والدفاع عن حقوقك والتوصل إلى ما يخفف آلامك ؟

أفى استطاعتك الانتقال من مكان إلى مكان آخر بدون جواز بذلك ، أو الانتفاع من إثمار أرضك ومحصول عملك ورى أرضك بدون التعرض للغرامة أو الحبس ؟

وما دام لا يمكنك ذلك فكيف تكون حراً ؟ كيف تكون حراً وأنت إن خطبت قوطعت أو كتبت سجنت أو مثلت أوصد باب الملعب بالرغم عنك ؟

أتضمن أنك متى نمت لا يدلف أحد داخل مأواك فيبحث فى جوانبه وزواياه أدق بحث ثم إنه ينشلك من بين نويك فيحملك ويلقيك فى أعماق السجون بحجة أن الهيئة الحاكمة قد ارتابت فى نياتك فخشت المستقبل وأنت واقف لها بالمرصاد ؟

وما دام لا يمكنك ذلك فكيف تكون حراً ؟

يبزغ نور الحرية الساطع عليك إن عوّلت التعويل كله على كسر هذه القيود كلها وسواها أيضاً مما لا انطباق له على روحها السامية .

يشرق نورها الباهر عليك إن قلت فى أعماق نفسك وهو القول الذى يفوق الفعل إننى أريد أن أكون حراً . يسطع نورها المتلألئ عليك إن صممت على تضحية كل شىء لأجلها .

إنها تنشر السعادة فى ربوعك وتفيض عليك الغنى والسلام لو تحالفت مع بنى نوعك على الموت فى سبيلها.

٢١

تقول فئة الخبث التى تريد أن تملأ خزائنها من مال الشعب وتشبع بطونها من ثمره وترضى أهواءها من كده وتمد مطامعها بجده وتحيا فى الزخارف من عرقه ودمه تقول : ليس الشعب بكفء لفهم مصالحه وحقوقه فيجب - حرصاً على منفعته - جعله تحت الوصاية فإنه من الواجب على حائزى النور أن يضيئوا سبل الذين لا نور لديهم . وينبغى لذوى الإدراك والنبوغ والتنور إهداء المتخبطين فى دياجير الجهل وظلماته .

* * *

تقول هذه الفئة : لستم بالأكفاء لفهم مصالحكم ، وهى تتخذ من ذلك حجة لحرمانكم مما تدبرونه فى سبيل منافعكم فتستولى عليه وتديره توصلاً إلى ما لا يروق لكم ويستفزكم .

تقول : لستم بالأكفاء لإدارة ملكياتكم ، وأنكم لا تميزون بين الغث والثمين والنافع والضار ولا تعرفون ما هى احتياجاتكم وما يقتضى القيام به لتحسين شئونكم ، وهى تتخذ ذلك باباً تفتحه فى وجه أناس يتقاضون المرتبات الباهظة من دخلكم فيباشرون إدارة عقاراتكم كما يلوح لأهوائهم حائلين بينكم وبينها مرغميكم على عدم فعل ما تبغون مضطريكم إلى عمل ما لا تبغون .

تقول : لستم فى المنزلة التى تؤهلكم إلى تربية أبنائكم فيلقون بهم – مظهرين العطف إليهم والرفق بهم – إلى تلك الدور التى هى مصدر الجمود والعادات الذميمة .

تقول : إنكم مسرفون لا قبل لكم بتقرير النسبة بين كرائكم اليومى واحتياجاتكم الحيوية وثم تحول فى الوقت نفسه دون انضمام بعضكم إلى بعض كى لا تتوصلوا إلى طلب زيادة الأجرة .

تقول هذا وسواه مما لو كان له صيغة من الحقيقة لكنتم أحط شأنًا من الحيوان ؛ إذ إن البهيم يدرك ما يزعمون أنكم لا تدركونه ، وهو مع ذلك ليس له من وسائط الفهم سوى الفطرة .

سواكم الله لتكونوا قطيعًا لفرد أو أفراد من نوعكم بل كى تعيشوا أحراراً متحدين كاخوة تجمعكم جامعة الحاجات المتبادلة ضمن نطاق الاتفاق المنصوصة ألا وهى القانون الذى يجب أن يخضع له الجميع بدون استثناء ، ويتحتم أن يتحول الكل واحداً فى سبيل المحافظة عليه وعدم العبث به فإنه الضمان الفعال للمجموع ومصدر مصالحه .

فليكن الفرد منكم رجلاً جامعًا لمجموع الحقوق التى له بحكم الطبيعة والقانون فإنه ليس هناك أقوى وقوى وضعيف وأضعف فيستباح وضع النير فى الأعناق بين الأقوى والقوى والضعيف والأضعف . نعم كونوا رجالاً أحراراً رافعى الرؤوس ضمن نطاق النصوص القانونية فتصلوا إلى الفخار .

* * *

هناك حيوانات يوصدون عليها المرابط فيطعمونها للعمل حتى إذا أدركتها الشيخوخة تسمن لتذبح فتؤكل .

وهناك حيوانات أخرى تحيا حرة فى الغابات وهى عاتية نافرة من الذل لا تصنّع اللين معها يلويها ولا التهديد يروّعها ولا الإساءة إليها تزعجها .

فقل والحالة هذه إن مَثَل ذَوى الإرادة من الرجال إنما هو تلك العجماوات الأخيرة ، أما الأولى فإنها مثل الجبناء.

٢٢

الاستيلاءُ على ما للغير بالحيلة كان أو بالقوة والتعدى عليه والحيلولة بينه وبين ما يريد واضطراره إلى فعل ما لا يريد والعبث بحقه بأية صفة كانت – كل ذلك هو الظلم بعينه . الظلم القاتل للحرية .

وإذا لم يحب الفرد من المجموع سوى نفسه . ولم يفكر فى غير شأنه . ولم يقبل على عضد بنى جنسه . اضطر الفقير إلى سرقة ما ليس له ليحيا هو ونووه . الأمر المفضى إلى فوضى عامة تندمج فيها طبقات المجموع . ويتسلط فيها الواحد على الآخر .

فيفهم من ذلك أن الإحسان إنما هو الضمان للحرص على الحرية .

حب الله حبًا يفوق ما عداه . وحب بنى نوعك كنفسك يمحو الاستعباد من على وجه البسيطة .

نعم إن أولئك الممقوتين الذين ينتفعون من الاستعباد ويشيدون شواهقهم بالسخرة يستعملون الوسائل كلها محافظة على كليهما فيقبلون على الكذب لأجلهما ويلجئون لأجلهما إلى القوة فيقولون إن سلطة الفرد المطلقة واستعباد المجموع لها إنما هما من نظام الله . إنهم يحرصون – بقولهم هذا – على مبادئهم التى هى الظلم والعتو بالتجديف على الكمال الأسمى . فأجيبوهم والحالة هذه أن إلههم إنما هو الشيطان

الذى هو العدو اللدود لبنى الإنسان. أما إلهكم أنتم فهو الذى غلب هذا الشيطان .

إنهم يذعرون فيهبون عليكم ويقيمون السجون فيزجونكم فيها ويقسون عليكم فيعذبونكم بالحديد والنار ويتحولون إلى وحوش فيسفكون دماءكم .

إنكم إن لم تكونوا ذوى عزم لا تفله هذه الاضطهادات كلها توصلاً إلى الحرية فالأولى بكم أن تظلوا راسفين فى أغلال الاستعباد وتنبذوا فكرة الميل إلى نيل هذه الحرية التى هى كمملكة الله . فإنها تتألم من الشدة ، ولكن ذوى هذه الشدة هم مصدر بهائها وقوتها .

فإنهم يزيدونها شدة فتمنح نصراً . ويكثرون من التضييق عليها فتزداد انتشاراً وقوة .

أدركوا أن القوة التى تعتمدون عليها لاحتمال الاضطهادات ابتغاء الحرية ليست هى القوة الوحشية التى يمتاز بها المغتصبون والسلبة واللصوص وقطاع الطرق . ولا قوة الظلم والقسوة والانتقام . فإنها صفات أعدائكم . بل إن تلك القوة إنما هى إرادتكم غير المتزعزعة وشجاعتكم المقرونة بالهدوء والحلم .

وقد قلنا ذلك استناداً إلى أنه ما من قضية مقدسة تدعمها الجريمة حتى تسقط أهميتها وتبتذل . وما من عبد يرتكب الجريمة فى سبيل الحرية حتى يصبح ظالمًا لا حراً .

٢٣

نستصرخك يا رب من أعماق قلوبنا شأن بنى جنسنا مؤمنين بك كانوا أو متبجحين بعدم هذا الإيمان حتى إذا انفردوا بأنفسهم نشدوك بالرغم منهم - نستصرخك استصراخ الدواب الجائعة طالبة القوت . والشاة المختطف حملها . والحمامة فى مخلب البازى . والغزالة بين براثن النمر. والثور مذبوحاً. والطائر مصاباً يطارده كلب الصيد. والتائه فى الصحراء . والغريق لا يعرف السباحة . والوالد مسلوباً ما كان يحمله من الغذاء لأبنائه الجياع . والسجين ألقت بهِ المظالم فى الكهوف المظلمة . والعبد ممزقًا لحمه بسياط السيد . والبرىء مقاداً إلى الإعدام . والشعوب قبل أن تتمتع بما لها من الحرية والحقوق - نستصرخك قائلين إلهنا ! إلهنا ! لماذا تركتنا ؟

منحت الأرض ميراثًا متوارثًا لخلائقك فتحكم البعض فى الكل . وساد الفرد على المجموع سيادة ينال بها كل ما لسواه ولا يمنح معها البعض لهذا السوى . قصمت من الشعوب الظهور . وأذلت الرؤوس . ووهنت السواعد . وتنوثرت اللحمان . وأسيلت الدماء. وها هم قد حفروا لها الحفرة وألقوا بها فيها خليطًا ، ثم إنهم سدوا منافذها وختموا عليها باسمك افتراءً .

هى فيها تئن وتشكو . تتوجع وتؤمل . تتألم وترفع أنظارها إليك . وإنك لن تدعها فيها أبداً .

نحن فى اليوم الأول . ولا يمضى اليوم الثالث حتى يتغير وجه الكون فتتزلزل الأحجار وتنقض وتسقط الأختام وتزال فيندفع المضطهدون من طيات الثغر أحراراً فى ظل العدل والإحسان والسلام والمحبة .

٢٤

نحن فى ظل الشتاء .

وظلام الليل حالك . ويهب الهواءُ عاصفًا . ويكسو البرَد الأسطح والطرق .

وحدث أن امرأتين كانتا تعملان عملاً يدويًا تحت سقف قاعة ضيقة ترج الزعازع زجاجها وتدوى فى جوانب الجدران .

وكانت الأولى عجوزًا قد بلغت من العمر عتيًا فأحناها المشيب والأخرى فتاة تولى صوغها الشباب .

وكانتا جالستين إلى جانب وجاق ، وكانت العجوز تدفئ يديها النحيلتين بين حين وآخر على حراراته .

وكان أمامهما مصباح يعكس نوره الضئيل على جسميهما مكونًا دائرة ممتقعة وضيقة .

ورأت الفتاة أن العجوز قد غاصت فى التأمل العميق فحدقت فيها تحديق الحنو ثم قالت :

إنك لفى قنوط شديد يا أماه !

فاضطربت العجوز وحولت نظرها إلى الفتاة وقالت : إن الله لعادل يا بنتاه ولا مرد لأحكامه التى تعجز الخلائق دون تأويلها .

ثم إنها فكرت طويلاً ، وعادت فعطفت قائلة :

مات أبوكِ فاكتنفتنى الأحزان وبقيتِ لى . فتعزيتُ ، ثم فهمتُ أنه لو ظل حيًا ، وعاين بؤسنا لذابت نفسهُ أسًى. فاقتنعت بأن الله قد دعاه إليه رأفة به وشفقة عليه.

فلم تجب الفتاة بكلمة ، بل إنها أحنت رأسها وسالت دموعها من عينيها مدراراً .

وعادت الأم فقالت :

دعا الله أباكِ إليه رأفة به . غير أنه لم يتخلَّ عنا فإنهُ لا ينقصنا شىء .

نعم إننا اضطررنا إلى التعود على العسر ، ولكنه عسر يسره ما نتقاضاه مقابل عملنا .

أعطانا الله الخبز – وهو ينقص الكثيرين – ووهب لنا المأوى – ولا يجد العديدون المأوى – ثم إنهُ منحنى إياك وأنت لدى الكنز الأعز .

فاهتزت الفتاة ، وسجدت لأمها ، وقبلت يديها ، ثم إنها اتكأت على صدرها ، وأجهشت فى البكاء .

فطبعت الأم قبلة على جبين الابنة ، واستطردت قائلة:

ليست السعادة فى الملك الواسع والغنى الوافر ، بل إنها فى الأمل والحب يا بنتاه .

أى الأمل الذى نستمده من الله . والحب الذى نعبر له عنه ؛ إذ ما من أمل وحب عداهما إلا وهما عرضيان أى باطلان .

أنت لى كل شىء بعد الله ، ويتلاشى العالم أجمعه كالحلم ، ولذا وُجه حبنا إلى ما وراء هذا العالم .

سجدتُ مرة أصلى وأنت جنين يتقلب فى أحشائى فيخفق قلبى غبطة وتتطلع نفسى إلى الأعالى – فتولانى نوم هادئ لاحت لى فيه عذراء على يدها طفل أدنته منى بيد ووضعت على هامتى إكليلاً باليد الأخرى ، ومن ثم تواريا صاعدين .

ولم يمض شهر علَى هذه الحادثة التى لم تبرح من بالى حتى ولدتك فكنت وما زلت لى أشعة الأمل المحيى.

وإذ قالت ذلك عانقت ابنتها وضمتها إلى صدرها ضمًا هو عين الحنو .

* * *

فى ذلك الزمن رأت نفسًا علوية جسمين من نور يرتفعان إلى السماء وحولهما الملائكة وهى تنشد التراتيل.

٢٥

ما من شيء يحـدث في الوجـود إلا ولهُ دليل يتقدمه فيشير إليه . لا يأزف ميعاد بزوغ الشمس حتى يوشى الأفق بألوان يبدو المشرق معها كأنهُ شعلة من أجيج . ولا تثور العاصفة إلا بعد أن يصدر عن السواحل دمدمة عميقة فيضطرب البحر اضطرابًا لا داعي له .

بل هناك أفكار البشر المتلاحمة في أفق العالم الروحي والخيالي فإنها الدليل على سطوع شمس الذكاء . وهناك الشعوب وما لها من لغط وصخب الأمرين الرامزين إلى الزعازع الكاسحة التي تكتنف الممالك فتقلب نظام الكون.

هو ذا اللغط الذي تتلوه العاصفة . فخذوا أهبتكم فإن اليوم قريب . وهو يوم ذعر ورعب وبكاء لم يأتِ مثله منذ الطوفان .

يوم يصيح فيه الملوك روعًا وهم على عروشهم ويحاولون عبثًا تثبيت تيجانهم على رؤوسهم بأيديهم .

يوم تثل فيه العروش وتقصف الصوالجة وتحطم التيجان . يوم يخرج فيه الأغنياء والقادرون عراة من قصورهم لئلا تتهدم عليهم فتدفنهم أحياء . يوم يجوب فيه هؤلاء الأزقة تائهين متسولين طالبين كسرة للقوة وخرقة للتستر ولا نعلم إن كانوا يظفرون بهما .

يوم تجرى فيه الدماء أنهاراً فيصيب سفاكوها مساً فيتعشقونها ويعبدون الموت ويرغّبون غيرهم فى عبادته فيسود.

يســود فيبسط يــده اليابسة كمبارك عشاقه فتمس قلوبهم وتكف عن الخفقان .

يسود فيتخبط العلماء فى علومهم فتبدو لهم كقطعة صغيرة إزاء شروق شمس الذكاء الجديدة .

تشرق هذه الشمس فتأخـذ فى سيرها مبددة غيـوم العاصــفـة فلا يبقى منها إلا طبقة بخارية شفافة فتصرفها ريح هادئة نحو المغرب .

تصرفها فتبدو السماء صافية وتلوح الأرض خصبة خضراء ويكتسب النهـار الضئيـل نـوراً لماعاً بهيجاً مشيراً إلى انعكاس أشعة من شعع جمال الله على البسيطة .

وهو نـور يرى فيـه بنـو الإنسان بعضهم بعضاً ويقولون : إننا كنا لا نعرف أنفسنا ولا غيرنا من بنى جنسنا ، كما أننا كنا نجهل ما هو الإنسان . أما الآن فإننا نعرفه .

وحينئذ يتبادلون المحبـة والمنفعـة فيرون أنفسهم فى مستوى واحد لا كبير بينهم ولا صغير ، وأنهم عائلة واحدة لا عائلات وأمة واحدة لا أمم .

* * *

٢٦

الأشـيـاء التى تقع أنظاركم عليـها وتلمـسـها أيديكم هـى الظلال . والصـوت الذى يصل إلى آذانكم هو صدى الوحى الذاتى الذى يعبد ويصلى ويئن فى أحـشــاء المسكونـة. وقـد قلنا يئن فإنــه مـا من خليقـة إلا وتئن فى الظلمـة وتحـاول الوصـول إلى معرفـة الحيـاة الحقيقية ممزقـة الحـجب التى تكتنفها . مستقبلة النور . فارة من الظواهر مقبلة نحو الحقائق .

* * *

للشـمس جـمـال فـائق وسطـوع باهر ، ولكنه الغـشـاء المنسـدل على الشمس الحقيقية التى تضىء النفوس .

وللأرض غنى وافر وخصب زاهر ، ولكنهـا المسـحة الباهتـة من بهـاء الطبيعة .

وقد قلنا المسحة الباهتة ؛ إذ إنهُ لما كانت هـذه الطبيـعة قد سقطت أيضًا فهى قد دفنت كالإنسان وستبعث منه كما بعث.

والآن . فشـأنكم وأنتم على غلاف هذا الجسم وهو البسيطة – شـأن السـائح الذى داهمـه الليل وهو تحت خيمتـه فشاهد أو ظن أنه شـاهد ، ويشاهد أشباحًا تمر .

العالم الحقيقى محجوب عنكم ، ولكنه يبدو فى الأباعد لمن ينظر من أعماق قلبه مستمداً قوى النظر من هذا القلب . هنالك تستيقظ هنيهة القوى الخفية الكامنة فيه فتكشف جانبًا من جوانب ذاك الحجاب الذى هو فى قبضة الزمن المجعدة فتبهر العين الداخلية مما يتجلى لها .

إنكم جلوس على ساحل محيط الكائنات ، ولن تصلوا – وأنتم كذلك – إلى أعماقه أبداً ، بل إنكم سارون ليلاً على شواطئ البحار غير مميزين منها إلا القليل من الزبد الذى تلفظه الأمواج على الشاطئ ، بل إنكم كالجنين متحركًا فى أحشاء أمه منتظراً ساعة ولادته وكالحشرة المجنحة فى الدودة التى تدب . فأنتم تؤملون الفكاك من أسركم الأرضى المبهم لتتجهوا نحو نور السماء .

* * *

٢٧

ما هى تلك الجموع المحتشدة حول الناصرى لتسمع كلمته ؟ هى الشعب .

ومن هم أولئك الذين يتبعونه في الجبل والصحراء والحقل للوقوف على تعاليمه ؟

هم الشعب .

ومن هو الذى رغب فى أن ينصبه عليه ملكًا ؟

هو الشعب .

ومن هم الذين بسطوا ثيابهم على الأرض ولاقوه بالسعف قائلين : احفظنا يا ابن داوود ؟

هم الشعب .

ومن هم أولئك الذين يصخبون فيسجلون العار عليهم ، لأنه يشفى المرضى في يوم السبت ، ويطرحون الأسئلة عليه مستهزئين به ، ناصبين له الشراك بغية هلاكه ، مذيعين عنه أن به مسًا ، وله ميلاً إلى الملذات ، منعتين إياه بالجاحد ، ثم إنهم ائتمروا عليه فصلبوه بين لصين ؟

هم الكتبة والفريسيون والشارعون . والملك هيرودس وبلاطه . والحاكم الرومانى ورؤساء الكهنة .

إنهم اتخذوا الرياء غشاءً كثيفًا طرحوه على أعين هذا الشعب. فخدعوه ، فدفعوه إلى طلب موت صاحب المعجزات.

فعلوا ذلك بالشعب ، وأدرك الناصرى أنهم خدعوا هذا الشعب خداع الثعبان للمرأة والمرأة للرجل فشفع لهم لدى أبيه قائلاً :

اصفح عنهم يا أبى فإنهم لا يدرون ما يفعلون ، ولكنه صفح لم يشملهم بعد ، بل إنهم تائهون منذ ثمانية عشر قرنًا فى أنحاء الكرة الأرضية يلاقيهم الاضطهاد ويطاردهم الحقد وتظللهم المذلة .

رحمة الناصرى لا استثناء لها . فإنه أتى ليخلص لا أناسًا بل البشر . وهو قد سفك دمه لهذا الخلاص سفكًا كانت كل نقطة منه فداء إنسان .

وهو عدا ذلك قد أحب الضعفاء والمتواضعين والمساكين والمتألمين حبًا ممتازًا .

وكان قلبه يخفق على قلب الشعب ، كما كان قلب هذا الشعب يخفق على قلبه .

وحينئذٍ كان هذا القلب وما زال الأمل الذى ينعش الشعوب المتألمة والقوة التى تمنح للأمم المستعبدة فتتحرر .

فالويل والحالة هذه للذين يبتعدون عنه وينكرونه .

فإنه لا دواء لداء بؤسهم ولا أمل لهم فى الخلاص من عبوديتهم الأبدية .

٢٨

مرت بابن الإنسان سنون كان يقتل فيها الإنسانُ الإنسانَ الذى يخالفه فى مذهبه اعتقاداً منه بأن هذا القتل إنما هو الذبيحة المقبولة من الخالق .

* * *

انظروا إلى هذا العمل بعين المقت الشديد فإنه منافٍ لقول الخالق للإنسان :

إنك لن تقتل .

إذا سالت دماء الإنسان على الأرض كضحية لله تزاحمت الشياطين على شربها ، ومن ثم دخلت فى الذى أسالها .

* * *

يقع الاضطهاد حين الإعياء عن الإقناع . ومن يعجز عن الإقناع يصخب فى داخليته على قوة الحقيقة الناصعة ، أو أنه يكون غير ذى ثقة كلية بالمبادئ التى بشَّر بها .

* * *

من الحمق الفاضح أن تصادر الإنسان قائلاً ! آمن أو مت !

الإيمان هو ابن «الكلمة» ؛ فهو ينفذ فى القلوب بالكلمة لا بالخنجر .

جاء يسوع ناشراً الخير ، جامعًا حوله القلوب بالطيبة ، ملينًا النفوس المستعصية بالحسنى .

كانت شفتاه المقدستان تباركان ، ولم تلعنا سوى المرائين ، وهو لم يقع اختياره على الجلادين كى يكونوا رسلا .

كان يقول لتلامذته : دعوا الحبوب الصالحة والطالحة تنمو معًا ، حتى إذا أزف الحصاد تولى رب العائلة فصل بعضها عن بعض .

وكان يقول للذين كانوا يحرضونه على إنزال النار بمدينة جاحدة :

إنكم لا تعلمون من أى روح أنتم .

روح يسوع هى روح سلام ، ورحمة ، ومحبة .

فمن يضطهد باسمه . ويستأسر الأفكار والضمائر تحت تأثير بريق الحسام . ويعذب الأجسام بغية إهداء النفوس . ويسيل الدموع بدلاً من أن ينشفها – إن هذا المضطهد إنما هو الخليقة البعيدة عن روح يسوع .

* * *

الويل لذاك الذى يعبث بالإنجيل الكمالى فيبرزه للإنسان كمصدر للرعب . والويل لذاك الذى يعلن بناءَ الإهداء على صحيفة مخضبة بالدم .

* * *

اذكروا المغاور والكهوف .

أى اذكروا ذاك العصر الذى دفعوكم فيه إلى القاصلة. وطرحوا بكم إلى الكواسر على مشهد من جماهير المتفرجين ، وألقوا بكم فى أعماق السجون . وداسوكم بالأرجل فى الساحات العمومية كالأوحال . وصادروا مقتنياتكم .

نعم اذكروا هذا كله ، واذكروا أيضًا أن جوف الأرض كان لكم المثوى الوحيد لإقامة شعائركم الدينية .

كان مضطهدوكم يقولون عنكم : إنكم ذوو مبادئ هى الخطر الكلى . وقانونكم هو قانون منافٍ للوئام . ومعكر للسلام العام . وإنكم عابثون بقانون السلطة وأعداء للجنس البشرى وساعون فى قلب هذه السلطة وطامحون إلى زعزعة معتقداتها وتغيير طقوسها .

وكنتم – وأنتم هدف لهذه المطاعن كلها وتلك الاضطهادات كافة – تنشدون شيئًا واحدًا عزيزًا جدًا ألا وهو الحرية .

أى حرية الاعتقاد بالله وعبادته كمقتضيات سننكم .

ولما كان ذلك كذلك فاحترموا هذا الحق أى حق الحرية ، ودعوا سواكم يتمتع به كما كنتم تنشدون ذلك من الوثنيين.

احترموا هذا الحق كى لا تسيئوا إلى ذكر أئمتكم ولا تدنسوا آثار شهدائكم .

للاضطهاد حدان يقطعان ذات اليمين وذات الشمال . فإن لم تفطنوا بعد إلى تعاليم يسوع فاذكروا على الأقل المغاور والكهوف .

٢٩

حافظوا فى نفوسكم على العدل والإحسان . فإنهما السلاح الواقى لكيانكم والقوة الواقفة فى وجه الانشقاق والانقسام اللذين وراء هما الاضمحلال والفناء . الأمران الصادران عن المصلحة الذاتية . أى الطمع الشائن .

* * *

حاربوا هذا الطمع بمجموع قواكم فإنه النار الآكلة التى يحركها الشيطان فى أجوافكم .

حاربوه حرباً متواصلة ذاكرين أنكم فانون ، ولن تأخذوا ذرة مما جمعتم مهما تباينت وسائل الجمع واختلفت بين الشريفة والدنيئة . والرفيعة والمنحطة .

حاربوه تلك الحرب ذاكرين ما أوردنا . وإنه يكفى الإنسان المحدود الحياة - القليل مع القناعة كى يعيش . وليس هذا الطمع هو المصدر الوحيد للتخاذل والانقسام ؛ فقد دعا أيضاً إلى وضع تلك القوانين التى لا روح لها للانطباق على حالة الهيئة الاجتماعية .

إنها لقوانين تثير الأحقاد ؛ فهى تخرب بدلاً من أن تعمر . تولد الانتقام . فهى لا تؤدب بل تحفظ ، وتفصم صلة المحبة ، وهى لا تردع ، بل إنها تدعو إلى الاندفاع فى الشر .

إنها تحول الجانى إلى وحش وتجرد المعاقب بها من مسحة العواطف . فيثأر لنفسه ثأر ذئب لافونتين من الحمل . أى أنه ينتحل لنفسة الأعذار ليوقع بأى عضو من أعضاء الهيئة الاجتماعية .

ولدينا شواهد ذلك فى أنحاء المعمورة . فلا السجون على أنواعها تأتى بالفائدة . ولا السلام والأمن ينبثقان من تطبيق تلك المواد على مخالفى نصوصها .

لا تقولوا أين إذن ذاك القانون المتضمن للسلام والمحكم لصلة التعاضد والمحبة بين بعض أفراد الهيئة الاجتماعية وبعضها .

لا تطرحوا هذا السؤال فإنَّا مرشدوكم إلى هذا القانون وهو قانون المحبة . إنه قانون واضح سامٍ لا يعمل به إنسان حتى يحاكم نفسه بنفسه فيعصمها . وخلاصته :

إذا وقع خلاف بين العاملين به تقاضوا ليس أمام محاكم أولئك الذين يضطهدون البشرية ويملأون القلوب حقداً ، بل أمام شيخ من شيوخهم الورعين العادلين الذين حازوا ثقتهم بهم فيبسطون له الخلاف طالبين منه التحكيم بينهم فيسمع لهم أقوالهم ثم يصدر حكمه إصداراً أساسهُ العدل لا المادة . والروية لا القانون . والمحبة لا الصيغة التنفيذية . أى القوة فيذعنون له .

* * *

المحال معدوم من قاموس المتحدين . للخير كان هذا الاتحاد أو للشر . فيوم اتحادكم هو يوم خلاصكم وتحريركم.

وحينئذٍ تذعنون لأحكام أئمتكم العادلة لا قضاتكم فيظللكم السلام .

* * *

كان بنو إسرائيل مضطهدين فى مصر . فلو حاولوا الخلاص أفراداً ولم يهتم الواحد منهم بغير نفسه لما نجا منهم واحد ، ولكنهم خرجوا مجموعاً واحداً ؛ فلم يقف فى سبيلهم أحد .

٣٠

لما إن افترت الرحمة وبدأ الظلم يكتنف المسكونة خاطب الله أحد مخلوقاته قائلاً : اذهب إلى هذا الشعب من قبلى وأنبئه بما ترى . وما تراه يتحقق إن لم يثب هذا الشعب ويعد إلىَّ نادماً ؟

فأطاع الرسول واتجه إلى مقصده مزوداً بجراب ومعفراً رأسه بالتراب حتى إذا توسط تلك الجموع رفع صوته قائلاً:

لماذا تحفظون الرب فتهلكون ؟

تراجعوا من سبلكم غير القويمة .

اندموا وعودوا إليه .

وكان صوته جهورياً جليًا أثر فى البعض ، وسخر منه البعض الآخر . وقد سخر منه الساخرون قائلين :

من هو هذا الإنسان ؟ وماذا يقول ؟ ومن هو نادبه ؟! ألعله معتوه ؟

وللحين حلت روح الله فى النبى فانكشف الزمن له ومرت به الدهور فمزق ثيابه صائحاً :

«الحق أقول إن عائلة آدم ستتمزق تمزق هذه الثياب» .

«قاس الأشرار بحبل وعدوا سكانها عد الأغنام» .

«ثم إنهم قالوا : لنتقاسم تلك وهؤلاء ، ونجعل منهم معيناً لأهوائنا» ، وتم التقاسم ، واستولى كل منهم على الحصة التى آلت إليه ، ثم إنهم تساءلوا قائلين : ٠

«كم تساوى ملكيتنا يا ترى ؟

«فاتفقوا على أن تساوى من الثمن ٣٠ درهماً»

«وحينئذٍ أخذوا يتعاملون فيما بينهم بهذا الثمن البخس»

«ثم إنهم تبايعوا وتشاروا وتبادلوا الأرض بالأناس ،

والأناس بالأرض ، وكلاهما بالذهب الذى فاض»

وبعدئذٍ داخلتهم الأطماع وهجس كل منهم فى الاستيلاء على حصة غيره ، وكتبوا بالدماء على ورقة كلمة «حق»

وعلى أخرى لفظ «مجد»

«فكفى اللهم كفى !»

«وهذان اثنان يلقيان شبكهما الحديدى على شعب فطوقته وعاد كل منهما بنصيبه منه» .

«وأبرق الحسام فتخضب بالدماء ؛ فعلت أصوات الأرامل والأمهات» .

«وهذان شبحان ينسلان فى الظلام مرتادين البادية والحضر»
«وفى يد أحدهما عظمة حيوان يقضمها وتحت إبط الآخر وسمة سوداء .
وهما شبحان تتبعهما الثعالب عاوية» .

* * *

«إلهى ! إلهى ! أليس لغضبك حد ؟ ألا تمتد ذراعك إلا لتضرب .
ابق على الآباء للأولاد وارفق بهؤلاء الأطفال الذين لا يميزون بين يمناهم ويسراهم» .

* * *

«العالم يتسع . وسينبثق نور السلام فتجد كل خليقة مكانًا لها» .

* * *

«الويل ! الويل ! فإن الدماء تتدفق سيولاً ، وقد طوقت
الأرض بطوق أحمر» .

* * *

«ما هو ذاك المسن الذاكر العدل وهو ممسك بيد كأسًا طافحًا بالسم . ومداعب بالأخرى ذات فحشاء تناديه بيا أبى ؟» «إنه يقول : أبناءُ آدم هم لى فارشدونى إلى الأقوياء منهم كى أوزعهم عليهم» .

«ولم يعتم حتى أعقب القول بالفعل ، معيناً لكل منهم غنيمته»

«وما هم يفترسون ولا يشبعون ، بل إن جوعهم يشتد فيأكل بعضهم بعضاً فيتمزق اللحم ويتفرقع العظم».

«وهذه سوق قد أقيمت فغصت ببنى الإنسان الذين يباعون فيها بعد الفحص بين ثقل وتكوين وخطى وتثمين».

«فلنقل إذن بأن فوضى الماضى قد استبدلت بتجارة منظمة !!!» .

* * *

«سعداء هى طيور السماء . وحيوانات الفلاء ؛ فإنها حرة الانتقال غير مقيدة بقيد» .

«وما هذه الطواحين ذات العمل الدائم ، وما هو الشىء الذى تطحنه ؟» .

* * *

«رويدكم يا بنى الإنسان فإن هذه الطواحين إنما هى قوانين حكامكم وذاك الشىء الذى تطحنه هو أنتم .

* * *

بينا كان النبى يكشف المستقبل منذراً بتلك النبوءات. كانت الرهبة والوجل يستوليان على المصغين إليه .

ولكنه ما عتم حتى صمت فجأة . وغاص فى التأمل ؛ فحدق الشعب فيه وأصغى إلى ما سيفوه به لاهثًا .

ورفع النبى عينيه المتخشعتين إلى الأعالى وقال : إنك لم تتخلَّ عن هذا الشعب يا رب تخليًا يدوم معه بؤسه ، كما أنك لم تسلمه كلية إلى مضطهديه .

ثم إنه تناول سعفتين جردهما من أوراقهما وعقد منهما صليبًا رفعه إلى رأس الجمهور قائلاً : فى هذا السلام وبه النصر .

* * *

وخيم الظلام فاختفى النبى كما لو كان خيالاً فتفرق الجمهور ذاهلاً .

٣١

متى هطل المطر على أرض يابسة امتصته فتخصب.

وهذا شــأن الأمم التى تحـولت عن المناهج القـويمـة التى فـيـهـا سعادتها وحياتها فانحطت . فإنها تقبل التعاليم السامية متى انزلت عليها . فترسخ فيها وينمو فى أحشائها العدل مع المحبة والسلام مع الحرية .

ويتجدد ذلك العصر الذهبى الذى كان الجميع فيه أخوة . فلن يسمع صوت السيد الآمر ، ولا تذمر العبد المأمور .

ويتلاشى أنين البائسين ، وتنقطع تنهدات المضطهدين .

وتمتلىء الأرجاء بأناشيد الغبطة وأغانى السرور .

ويقول الأبناء لآبائهم : لقد كانت أيامنا الأول أيام اضطرابات ودماء وآلام ودموع . أما الآن فإن الشمس تشرق وتغرب ونحن فى ظل المسرة .

وتقول الأمهات لبناتهن : انظرن إلى جبهاتنا . إنها منبسطة مشرقة وقد كانت مشوهة بأخاديد القلق والحزن . وقد كانت جبهاتكن مجعدة ذعرا ، وأعينكن غير مستقرة فزعًا . فأصبحت هذه الأعين مثال الصفاء كالسماء ، وتلك الجبهات كسطح الماء فى الربيع .

ويقول الفتيان للعذارى : إنكن جميلات كأزهار الحقول. نقيات كالندى الذى يرطبها . والنور الذى يكسبها ألوانها النضرة . وإننا لنستعذب إرشادات آبائنا ، ونميل إلى حنو أمهاتنا ، ولكننا لا نتحول إلى جانبكنً حتى تشعر نفوسنا بعاطفة مطبوع اسمها فى السماء .

وتقول العذارى للفتيان : تذبل الأزهار فتنثر ؛ فلا الندى يحييها ولا النور يعيد إليها ألوانها . وما من باق بدون ذبول غير الفضيلة . آباؤنا كالسنبلة المثقلة بحب الحنطة . وأمهاتنا كالكرمة التى تثمر العنب . وإنّا لنستحب البقاء فى حماهم ، إلا أننا نستعذب أبناءهم أيضاً .

٣٢

ورأينا زانة باسقة متعددة الأغصان فتظلل الأرض الجدباء وإلى جانبها لبخة اختلط مستقيمها بمعوجها قد برزت أطرافها من خلال تلك الأغصان الضخمة طلبًا لبعض النور والهواء .

فقلنا هو ذا المثل الناطق دالا على عاقبة نمو الصغار فى ظل الكبار .

من هم أولئك الذين يتألبون حول عظماء العالم المطلقين ويتزلفون منهم ذليلين .

إنهم ليسوا بالفقراء ؛ لأنهم يطردونهم ؛ إذ إن مرآهم يقزز نفوسهم . ويعافه نظرهم . فيوصدون دونهم أبوابهم . ولا داعى لهذا كله ، إلا لأنه يستر أجسامهم التى ألبسها العمل ثوبًا باليًا .

من هم إذًا أولئك المتزاحمون على أبواب العظماء المستبدين مستبيحين ما لا يباح لنيل رغائبهم ؟

إنهم الأغنياء ذوو الأطماع . الطامحون إلى الغنى . والنساء الساقطات وعشاقهن العائشون من دخلهنَّ . وخدام أغراضهم الخفية . والمتهوسون الباذلون نفوسهم مرضاة لمسراتهم . والمغالطون الذين يخدعونهم والمستبدون والماكرون والمحتالون وجميع القائلين . «ضعوا

زمام الشعب فى يمنانا فنحول بيسرانا ماله إلى خزائنكم وقوته الحيوية فى عروقكم» .

الحق نقول لكم . حيثما تلق الجثة تحيم النسور .

٣٣

وحدث فى فصل من فصول الخريف حيث تذبل أوراق الأشجار وتصفر فتتساقط . إن شيخًا كان يحمل حطبًا وهو يمشى متباطئًا مسدداً خطواته نحو كوخه المقام فى سفح رابية .

وكانت الشمس مائلة إلى الغروب مكللة رؤوس الأشجار بلون أرجوانى متقلص تاركًا ستار الظلام ينسدل على المسكونة .

ووصل الشيخ إلى مأواه فألقى بحمله إلى جانب وجلس فى كرسى تعلوه طبقة سوداء من دخان الأخشاب التى يوقدها للاصطلاء ، ثم إنه أحنى رأسه إلى صدره وغاص فى لجة من الأفكار .

وكان صدره يرتفع وينخفض متأثراً بذكرى ما كان يجول فى خاطره .

ولما أن قضى فى ذلك وقتًا صعَّد وقال :

كان لى ولد فأخذوه ، وبقرة حلوب فسلبوها .

وللحال اغرورقت عيناه بدموع لم تسل من محجريهما ؛ فظلت متلألئة بين الجفون .

وبينما هو كذلك سمع قائلاً يقول : السلام لك يا أبى ولنويك .

فاختلج الشيخ ، وقال إننى وحيد لا صاحب لى ولا ولد .

ثم إنه شخص إلى محييه فرأى بباب الكوخ سائحًا بيمناه عصا يتوكأ عليها . فقال له :

تفضل وادخل يا بنى فإن ما للفقير إنما هو لمثيله ، ثم إنه أوقد الحطب ، وأخذ يهيئ لضيفه العشاء .

غير أن وجود ضيفه لديه لم يلهه عما كان به فكان قلقًا ذاهلاً .

وهى حالة لم تغب عن الضيف فقال : إنك تشكو حالك .

ولكن ثق بأن هناك بؤسًا يفوق بؤسك . وشقاء يزيد على شقائك . وأن آلام المعتدى وحيرته تفوق آلام المعتدى عليه وحيرته .

فأحنى الشيخ رأسه ولم يفه بكلمة .

فأستأنف العابر حديثه قائلاً :

إن ما ترتاب فيه سيتحول إلى حقيقة فيما بعد يا أبى.

ثم انه حدق فيه وأجلسه أمامه ووضع يديه على عينيه فغاص الرجل فى شبه نوم عميق يكتنفه رعب هائل كأنه ذاك الرعب الذى استولى على إبراهيم لما أن كشف له الرب عن البلايا التى ستحل بسلالته .

وخيل للمنوَّم أنه انتقل إلى قصر شاهق فى حجرة منه رجل نائم وإلى جانبه تاج . وانكشفت للشيخ مكنونات النائم فوقفت على دخائل نفسه وقوف الإنسان على كتاب مفتوح أمام عينيه .

وكان سمع الرجل النائم على سريره الذهبى متجهًا إلى ضوضاء جمهور يطلب خبزًا .

وكانت ضوضاؤهم كهدير البحر المزيد المتكسرة أمواجه على الشاطىء .

وهبت عاصفة شديدة أخذت تزداد فازدادت الضوضاء. فاختلج النائم ورأى أمواج البحر الخضم مقبلة بعضها فوق بعض فتصطدم بأسوار قصره . فانتشرت على وجهه ملامح الفزع الشديد وأبدى أمارات الرغبة فى الهرب فأعياه فاكتنفته الكآبة وأخذ يتقلب كالملسوع .

* * *

وانتقل الشيخ المنوِّم إلى قصر آخر فيه رجل ممدد فى سرير . وكان هذا الرجل ممتقعًا سقيمًا بارز العظام .

وكان يرى فى نومه رؤوسًا مقطوعة ، إلا أنها كانت تحرك شفاهها قائلة : إننا كنا مخلصين لك فقطعت منا الرؤوس فنم لنسهر مترقبين ساعة الانتقام . وكان الدم يتجمد فى عروق النائم الذى كان يقول فى نفسه . لعلى أتمكن من إبقاء التاج لحفيدى ، وكان إلى جانب سريره مهد فيه صبى نائم أيضًا .

غير أنه لم يستقر هذا الخاطر فى ذهنه حتى رأى رجلاً يشبهه قد انقض على الصبى وضرب به الجدار فقتله . فارتاع المنوِّم وشعر كأن روحه تفارقه .

* * *

ثم إنه انتــقل إلى مكانين آخــرين فى آن واحــد . فــرأى رجلين متشابهين نائمين نوم المحكوم عليه بالإعدام . وكانت تمر بهما أشباح مرتدية أكفانًا مخضبة بالدماء ومحتكة بهما احتكاكًا مقصوداً فينتفضان وتتجه أيديهما إلى مقبضى خنجريهما ، ثم رأى المنوِّم رجلا ثالثًا تطوقه الشكوك فتقتله وترسخ فى ذهنه فيتصبب العرق البارد من جبهته .

وقد اقـترب شبح من هذا الثالث ، وأشـار بيده إلى أثر فى عنقه . فاصطكت ركبتاه وفغر فمه ذعراً واتسعت حدقتاه رعبًا .

* * *

وانتقل المنوِّم إلى قصــر أكبر كان فيــه رجـل نائم أيضًـا ، إلا أنه كان يتنفس بصعوبة . وكان على صدره شبح أسود قابض بيديه على عنقه ومحدق إليه بنظر هو الانتقام بعينه ، هامس فى أذنه ألفاظًا كانت تتجسم فى مخيلته فتبدو له حوادث رائعة ممثلة فى جماهير محيطة صاخبة قائلة :

إنك وعدت أن تمنحنا الحرية فطوقتنا بنير الاستبداد ، وأن تحكم بيننا طبقًا للقوانين فجعلت هذه القوانين ستاراً لأهوائك . وأن تبقى على أرزاقنا فضـاعـفت بؤسنا لتـزيد ثروتك . وأن تقـودنا إلى سـبل المجـد فجعلتنا سخرية الأمم. فاهبط اهبط إذًا أيها العاتى إلى مقر الملعونين .

وللحال شعر النائم كأن أيدى تلك الجماهير قد جذبته وألقته إلى الحضيض الهاوى . فأخذ يعتصم بأكياس من الذهب ليحول بها دون

سقوطه ، ولكنها كانت تتفتق فيتدفق الذهب منها ، ثم خيل له أنه يهيم طريداً شريداً فقيراً يسأل الماء ليشرب فيقدمون إليه أكواباً ملأى بالأوحال ، ويطلب العطف عليه فيهربون منه هربهم من الأبرص ؛ فإنه كان موسوماً في جبهته بميسم الخونة الأشرار .

ورأى المنوِّم هذا كله فانتفض روعاً .

* * *

ورأى فى قصرين آخرين رجلين نائمين قائلين فى نفسيهما أين نجد الراحة فإن الأرض ملغومة تحت أقدامنا والشعوب تضطهدنا والأمهات يلعننا والأطفال يطلبون الخلاص منا .

* * *

وكان أحدهما يكره من يذكر اسم الوطن العذب فيحاكمه حاكماً عليه بالسجن الدائم المقرون بعذابات النفس والجسد فملأ السجون ووسع المقابر .

وكان الآخر يغتصب عقاراتهم ومنقولاتهم مقتصاً ممن يقبل على تخفيف آلام أخيه الإنسان .

* * *

وفيما هما كذلك وقد أعيتهما مظالمهما فجعلا يلهثان فى نومهما أقبل عليهما رسل أنذروا الأول قائلين :

إن أهالى الايالات قد ثاروا فكسروا جنوده وطردوا ممثليه ، ثم أنذروا ثانيهما قائلين :

إن ألويته قد مزقت . ونسوره حطمت . وبددت أمواج النهر بقاياها .

فأخذ الملكان ينتفضان فى نومهما انتفاض المحموم .

ورأى المنوِّم رجلاً أقصى الإيمان من قلبه فحلت محله دودة آكلة كانت تلدغه دائمًا فيصخب ويزبد . غير أنه لم يلبث حتى انتقل مع آفته إلى مقبرة متسعة قد دفن فيها شعب ذبح ذبحًا . فلم تطأها قدماه حتى مادت أرضها وتفتحت قبورها وانبعث منها الموتى ، وأخذوا يقصدون إليه أفواجًا . فجمد فى مكانه . فحدق المنشورون فيه طويلاً ثم إنهم أخذوا يجمعون حوله أحجار القبور حتى إذا وصلوا بها إلى مساواة عنقه عاد إلى نفسه فجمع قواه ليستنشق الهواء فواروا جثته رجمًا .

* * *

وكادت قوى المنوِّم تفارقه فأيقظه منوِّمه ففتح الشيخ عينيه منذهلاً شاكرًا لله رأفته به فإن نصيبه من الحياة لا يعد شيئًا مذكورًا فى جانب نصيب سواه .

وشخص العابر إلى الشيخ بعينين تنبعث منهما شعع العطف وقال له :

أمل وصلِّ فـإن الصـلاة تؤدى إلى تحـقـيق الآمـال وثق بـأن ولدك سيعود إليك فعش بسلام .

فسجد الشيخ مصليًا ، وله من هدوء الليل باعث أطال معه الحديث الذى عُقد بين قلبه والله .

٣٤

ليست الشرور النازلة بالأرض بصادرة عن الله ؛ فإنه المحبة والطيبة والخير . بل انها متولدة من الشيطان الذى لعنه الله ومن البشر الذين اتخذوه سيداً لهم .

ولما كان الخاضعون لسلطان الشر منتشرين فى أرجاء المسكونة فقد خصص الله بهم كتاباً مقفلاً يدون فيه أسماءهم وهم مشيعون إلى قبورهم كى يفتح ويتلى على مسمع من الأمم فى يوم النشور .

* * *

هناك قوم لا يحبون إلا أنفسهم فهم ممثلو الحقد ؛ لأنهم يكرهون سواهم .

وهناك قوم الكبرياء الذين يأبون أن يروا بشراً مساوياً لهم كى يسودوا ويأمروا فيطاعوا .

وهناك قوم الطمع الطامحون إلى الإكثار من الذهب والإفراط فى الملذات .

وهناك قوم اللصوصية المشرفون على الضعفاء ليسلبوهم ما لهم بالدهاء أو القوة طائفين ليلاً حول منازل الأرامل والأيتام .

وهناك قوم القتل المفكرون فى الدماء فيقولون لبنى جنسهم أنتم أخوتنا ليبطشوا بهم وهم آمنون .

وهناك قوم الجبن الواجفون أمام الشرير فيلثمون يده اجتنابًا لاضطهاده .

* * *

هؤلاء الأقوام كلهم هم الذين عبثوا ويعبثون بالأمن. وزعزعوا ويزعزعون أسس الطمأنينة ، وقتلوا ويقتلون الحرية.

ولما كانت الهيئة الاجتماعية فى أقصى حاجة إلى الأمن والطمأنينة والحرية فيقتضى والحالة هذه محاربة هؤلاء تأييداً لتلك المبادئ التى هى أساس الوجود .

* * *

الحياة التى يقضونها سانين نظامها هى من الشر ؛ فسنوا أنتم نظام حياة أخرى قاعدتها الخير .

الحياة من الله ، وهى توجب أن يحب الإنسان بنى جنسه كنفسه . فلا يتألم فيها أحد ولا يشقى . يتساوى الجميع فيها فلا عبد يؤمر ولا سيد يأمر ؛ لأن مرجع الكلمة العليا فيها للحب . يضع الإنسان فيها يده على ما له بدون وجل وغير متطلع إلى ما للغير ؛ لأن ما للواحد هو للمجموع والعكس بالعكس .

هنالك لا يضحى أحد غيره على مذبح أهوائه ، بل يتأهب كل فرد لتقديم نفسه قرباناً على مذبح مصلحة الجميع.

هنالك لا يوجد شر ؛ لأنه إن دلف إنسان الشر إلى ذلك النطاق نبذ لأنه عدو الجميع .

إنكم متى وضعتم نظام تلك الحياة – وقاعدته هى الحب – وسرتم بموجبه تستأصل أقوام الشر وتخصب الأرض فتسعد الأمم .

٣٥

لو انفرد مضطهدو الشعوب ولم يقبل أحد على عضدهم لما تحكموا في الأمم كما يهوون .

وإن لم يصدر العضد إلا عن بطاناتهم لعجزوا – وهم الفئة القليلة – عن تأييد نفوذهم وبسط ظلمهم على الفئة الكبيرة .

نظام ثابت سن مسنداً إلى الحكمة السامية ليتسنى للبشرية أن تقاوم الاضطهاد والظلم اللذين يتلاشيان متى أدركت هذه الحكمة الجلية .

ولكن لما كانت أفكار السائدين موجهة إلى مخالفة هذه الحكمة التي لم يدركها المسودون فقد عارضوها بوحي من عند سلطان العالم الدنيوي ألا وهو الشيطان .

ولما كان الشيطان هو سيد مضطهدي الشعوب فقد وسوس لهم قائلاً :

إنكم تريدون تأييد الظلم وما لكم من النفوذ فضعوا السيوف في أكف الشبيبة القوية وعودوها استعمالها فيحاربوا أخوتهم وآباءهم لأجلكم محاربة أقنعهم بأنها العمل الأسمى رافعاً لهم معبودين أغويهم بعبادتهما والاستقتال في سبيلهما ألا وهما الشرف والأمانة سانّاً لهم قانوناً لا يخرجون عنه قيد أصبع ألا وهو الطاعة فيعبدون الأولين عبادة

يستسهلون معها كل صعب ويخضعون للثالث خضوعاً لا يخشون معه أي شيء . فاذعن مضطهدو الشعوب لقوله ونفذ الشيطان وعده فتمزقت وحدة الإنسان وقام الأخ على أخيه والشعب على الشعب والابن على أبيه فجرت الدماء أنهاراً وقعقعت الأصفاد وأهين الأب وافتضحت الأم وسبيت الأخت وتغطرس الشقيق تغطرساً أن الفتوه إليه قائلين : افطن إلى شناعة ما تجنيه يداك أجاب انني لا أفطن إنما أطيع . وان نبهوه إلى حبه لذويه قال انني لا أحب بل أخضع . وإذا أرشدوه إلى معابدا صاح: إن آلهتي إنما هي آلهة رؤسائي وهي الأمانة والشرف.

* * *

الحق نقول لكم : انه لم تحدث غواية كهذه منذ الغواية الأولى .

* * *

إذا كانت الأولى قد أسقطت الإنسان . فقد قلبت الثانية نظام الكون . ولكنها غواية تتقلص . فإنه إن كانت روح الشر تستهوى النفوس القويمة فإنها تستهويها إلى أجل مسمى . أى أنها تغشوها حيناً فتبيت كالحالمة حلماً رائعاً ثم أنها تستيقظ ناشلة نفسها من أغلالها .

فلنصبرن إذاً قليلاً فتتخلص الشبيبة من نير الظالمين وتحارب لخلاص المظلومين وتحرير المستعبدين فتبزغ شمس الحرية في سماء العدل والمساواة فيتوارى الشيطان واتباعه في مغاورهم بائسين .

٣٦

إلى أين ذهابك أيها الجندى ؟

إننى ذاهب لأحارب فى سبيل العدل وحقوق الإنسان. لأخلص أخوتى من الظلم وأكسر أغلالهم . لأحطم قيود الشعوب . لأسحق الظالمين والعاتين وأؤدب المولعين بالاسترقاق نشراً للحرية . لأضع حداً لافتراس البعض للكل فأرفع الرؤوس الذليلة . حتى لا أجعل الأب يلعن اليوم الذى يولد له فيه ابن ولا تلعنه أمه وهى تحضنه إلى صدرها . وحتى لا يحزن الأخ وهو يرى رواء أخته ذابلاً وجمالها ناضباً ودموعها منسكبة أسفاً عليه لعضده للمستبد. كى يتمتع الفرد بثمرة كده وهو مطمئن وتنضب دموع الأطفال الجائعين للشبع ، كى لا يظل البائس بائسًا واطرد البؤس من الأكواخ . وامنح البشرية الخيرات والفرح . لأعيد الملقين فى المغاور إلى سطح الأرض فيستنشقوا الهواء ويروا نور الشمس . لأهدم السدود المقامة بين بعض الأمم وبعضها فيتحاضنوا كاخوة يعيشون فى ظل السلام . لأحرر الفكر والقول والقلم فينتشر العلم وتحترم الحقوق كافة. لأؤيد القوانين السامية التى هى الضمان لهذه الحقوق. لأنشر الإحسان المخفف لبلايا البشرية. لأوحد الرأى والوطن والمصلحة فتبسط السعادة ظلها على المسكونة.

* * *

حارب إذاً أيها الجندى وكن مباركًا .

٣٧

لماذا تجهدون أنفسكم عبثًا فى دائرة شقائكم ؟ مطلبكم سام ومقصدكم حسن ، ولكنكم لا تعرفون كيف تنالونهما .

مانح الحياة هو نفسه الذى يستولى عليها .

فأنتم لا تنجحون والحالة هذه بدونه ألا وهو الله .

* * *

أنتم تتقلبون على فراش أوجاعكم فما هى التعزية التى تخفف آلامكم ؟

إنكم صرعتم بعض المستبدين الظالمين فجاءكم من بعدهم من هم أشد منهم عتواً . وألغيتم قوانين الاستعباد فسنت لكم قوانين دموية تلاها الاستعباد . وما مصدر ذلك سوى رجال الشر .

فاحذروهم إذاً فإنهم يحولون بينكم وبين الله لما لهم من المقاصد السيئة .

احذروهم فإن الله إنما هو مصدر القوة المخلصة ، ومنه ينبثق الحب الجامع والموحد .

ماذا يستطيع الإنسان أن يأتيه لخيركم ومصلحتكم وهو ليس له غير فكر هو مرشده وإرادة هي قانونه .

إنه إن رغب في خيركم رغبة حقيقية ما أمكنه إلا أن يوقف لكم ذاك الفكر وتلك الإرادة . الأمر المنطبق علَى المستبدين كافة .

* * *

ليس عليكم أن تقبلوا كل شيء ليحل مستبد محل مستبد تقدمه .

وليست الحرية في أن يحكم هذا أو ذاك ، بل إنها في أن لا يسود أحد ؛ فهناك إذاً حيث لا يحكم الله يتحكم الإنسان ، وهي النظرية المتعاقبة مع الأجيال .

* * *

حكم الله هو حكم العدل والإحسان . جوهر الأول مساواة الجميع أمام الخالق . وجوهر الثاني المحبة والعضد .

فأنتم ترون إذن أن هذا الحكم إنما هو حكم السيادة فيه للحرية بكل معناها . أي أنه حكم يكون الجميع أحراراً في ظله لا آمر بينهم يأمر فيطاع . وإن وجد هذا الآمر كان غير مخالف لنص ذاك القانون ؛ لأنه يكون منخوباً بالإجماع نخباً يشترك مع ناخبيه فيه دفاعاً عن الحرية . فينال الأكثرية فيشاور ليقول ويستنصح ليعمل .

القائلون لكم بأن العدل لم يكن معروفًا قبلهم ، وأنه لا يصدر عن الله بل عنهم - هم كذبة خادعون لكم ولأنفسهم أيضًا .

لأنهم يطلبون منكم أن تعترفوا بهم أسياداً عليكم فلا تكون حريتكم والحالة هذه سوى الخنوع لهم .

ليكن جوابكم لهم دائمًا ! إن سيدكم إنما هو الله ، وأنكم لن تريدوا دونه بديلاً .

٣٨

محتاجون أنتم إلى الصبر الطـويل والشجاعـة التى لا تفل ؛ لأنكم لا تفوزون فى يوم أو فى بعض يوم .

الحرية هى الخير الذى تناله الشعوب بعرق جبينها .

كثيرون يسعون طفراً فيكبون فى منتصف السبيل فلا يصلون إلى الغرض . شأنهم شأن الملقين البذار غير مقتلعين النبات الضار كلما نما فلا يحصدون شيئًا ؛ فإن الضرر يكون لحق بالمحصول فأتلفه .

الحق نقول لكم إن المجاعة تسود حينئذٍ فى جميع الأرجاء ، بل إن شأنهم شأن الذين يقيمون منزلاً لسكناهم مهملين دعمه فتعصف زعازع الشتاء وتتساقط الأمطار فيتهدم المنزل على القاطنين فيه .

لا تفقدوا الأمل إذا فشلتم مراراً ؛ لأنه يكفى أن يتسلح المرء به فيظفر . إذا لم يكن عاجلاً فآجلاً .

* * *

الربح مضمون فى القضايا ذات الأساس المتين المسند إلى الحق .

* * *

لا تقولوا إنكم تتألمون جداً تربصاً لخيرات تتحقق متأخرة. فإنها إن لم تغدق عليكم أنتم أغدقت على أبنائكم الذين ليس لهم سوى مخلفاتكم . فاختاروا إذن بين أن تتركوا لهم الأغلال والقيود ، أو السعادة والحرية .

من يتساءل : ما هو ثمن العدل يدنسه . ومن يساوم ثمن الحرية يأباها ويرغب عنها .

إن وضعتم الثمن فى كفة رجحت الكفة الأخرى التى تكونون قد وضعتم فيها العدل والحرية .

فافرطوا إذن فى هذا الثمن ولا تخشوا غبناً .

هناك شعوب لم تذق طعمها أصلاً . فيفوق بؤسهم كل بؤس .

إن وجد على البسيطة أمر عظيم كان هذا الأمر هو العزم الثابت الذى يتسلح به شعب يهب مطالباً بحقوقه الممنوحة له من الخالق . غير عابئ بجراح دامية . وأيام تنقضى بدون راحة وليالٍ تتوالى بدون نومٍ قائلاً : إن العدل والحرية لجديران بأثمن من هذه الضحايا كلها . إنه المستهدف – وهو كذلك – لصعقات شديدة وخيانات ممزقة فعليه أن لا يفزع ولا يغش ولا ينى له عزم ، بل ليتقدم هازئاً بالصعاب كلها مسدداً خطواته نحو مقصده فإن قبر فى يومه نشر ، وهو نشر يطأ فيه الظالم والمستبد ناشراً على رفاتهما علم الحرية الخفاق فتسود المساواة والمحبة .

* * *

٣٩

إذا كان الحارث يتحمل أعباء يومه متعرضاً للفحات الشمس صيفاً وانهمال المطر شتاء وهبوب العواصف خريفاً ليحصد مؤونة الربيع .

وإذا كان الصانع يبكر فيشتغل توصلاً إلى قوت يغذيه ونويه . وإذا كان التاجر لا يألو جهداً ولا يشكو عياء ولا يبخل فى استنزاف قواه غير ذائق لذة الرقاد سعياً وراء المال. وإذا كان النوتى يجتاز البحار هازئاً بصدمات الأمواج وثورات الزعازع خائضاً محيط الحياة الخضم بدون ضمان . يهدده الموت ويطوقه الزبد ويتساقط عليه الجليد توصلاً إلى الراحة فى الشيخوخة . وإذا كان الجندى يخضع لأشد القوانين صرامة ويقضى مدة تجنده وسلاحه إلى جنبه باذلاً دمه فى سبيل ما يدعوه بالمجد . إذا كان ذلك كذلك فقل: إن العدل هو حصاد الأمم . وقوت الشعوب . وإن الحرية هى غنى الأولى وراحة الثانية ومجدها .

إن وجد شعب يقول بعكس ذلك فأقيموا حوله السدود المنيعة كى لا تنتقل عدوى قوله إلى غيره . ولا تسرى فى بقعة من بقاع الأرض . حتى إذا أزف اليوم العصيب . يوم محاكمة الشعوب يخاطب بما يأتى :

أيها الشعب الضال ماذا صنعت بنفسك ؟ أنك لم تحرك ساكناً بل قد استسلمت إلى الملذات البهيمية ؛ فأنت قد ألقيت بنفسك فى بؤرة

الاسترقاق والظلم والمفاسد فمت فيها اختناقًا . أما سائر الشعوب التى تكون قد رفعت ذاتها عن مصاف البهيمية وعلقت بالأحسن من الأشياء كلها ، ولم تدخر وسيلة من الوسائل السامية للوصول إلى الحرية والعدل فإنها تسمع الأناشيد الآتية صادرة عن مزمار الطبيعة العام ، وهى لذوى النفوس والعواطف منحة النفائس . انك تجردت من الأباطيل فسموت ونبذت الزخارف الزائلة فارتقيت وآثرت الحرية والعدل على ما عداهما فتعالى إلى أحضانى لأعهد إليك بكليهما فتمتعين بهما .

* * *

٤٠

أتعتقدون أن الثور المعلف ليربط إلى النير والمسمن ليذبح يؤثر على الثور الباحث عن قوته حراً جائلاً فى الفلوات والغابات ؟

وأن الجواد المسرج الوافر العلف أفضل من الجواد المطلق الصاهل فى السهول ؟

وأن العصفور الواجد الحبوب فى القفص أحسن حالاً من الطائر المحلق فى الجو غير عالم أين يجد غذاءه ؟

وإن المتنزه فى حديقة مسيجة يشابه ذاك المتنقل من صخر إلى صخر ، ومن غابة إلى غابة ؟

وإن العبد الجالس إلى مائدة مولاه أكثر تنعماً من جندى الحرية مع ما فى يده من الخبز الأسود اليابس ؟

وإن الرقيق النائم على الحرير مطوقًا بسيادة سيده تطويق الحبل للعنق أنعم بالاً من ذاك الباسل القاضى نهاره محارباً للتحرر فينام ليلاً فى ركن من أركان حقل ؟

وإن الجبان الراسف فى أغلال الاستعباد أينما ذهب أغبط حالاً من الشجاع المثقل بأصفاد السجن ؟

وإن الخجول الخانع المسلم الروح ، وهو على فراشه مختنقًا بالهواء المسموم والسام الهاب من جوانب الظلم يموت موت المطالب بالحق ، وهو على القاصلة مصعداً بروحه على أجنحة الرياح النقية إلى خالقها ؟

العمل والألم موجودان فى أنحاء المسكونة كلها .

غير أن هناك عملاً عقيماً ، وعملاً مثمراً ، وألمًا مجيداً خالداً ، وآخر مرنولاً عائباً .

٤١

يضرب المنفى في طول الأرض وعرضها ضالاً كجرم في مجاهل الفضاء .

لقد اجتزنا الشعوب فتلاقت أنظارنا غير أننا لم نتعارف.

إن المنفى وحيد أينما حلَّ .

كنا نرى في الغسق دخانًا متصاعداً من كوخ فنقول :

سعيد هو العائد مساء إلى بيته فيجتمع بذويه . إن المنفى وحيد أينما حل .

إلى أين تتجه هذه السحب التي تدفعها العاصفة ؟ إن عاصفة الحياة تدفعنا مثلها غير عالمة إلى أين . إن المنفى وحيد أينما حل .

هو ذا جدول منساب في سهل غير أن خريره ليس بالخرير الذي تعودته آذاننا صغاراً فلا ينكر بأقل ذكرى . إن المنفى وحيد أينما حل .

هذه هي أغانٍ شجية ، ولكنها لا تحرك فينا الحزن أو الفرح اللذين تعودناهما فتبدو علينا سيماء الانقباض الجذابة للأول وتتورد وجوهنا جذلاً للثاني . إن المنفى وحيد أينما حل.

بكينا فسئلنا عن داعي البكاء فأوردناه صريحًا جليًا فلم يبكوا لبكائنا لأنهم لم يفقهوا قولنا . إن المنفى وحيد أينما حل.

ورأينا شيوخًا تحيط بهم أحفادهم ، ولكن ليس بينهم من نادانا بيا ولدنا أو يا أخانا . إن المنفى وحيد أينما حل .

ورأينا العذارى مبتسمات تلك الابتسامات الخلابة المحاكية لندى الفجر ونسيم الصبح وهى ابتسامات توهب لأولئك الذين اختارهم الحب أزواجًا لهن ، ولكن ليس بينهن من ابتسمت لنا . إن المنفى وحيد أينما حل .

وأينا فتيانًا متعانقين ، ولكن ما من أحد بينهم مدّ لنا يده مصافحًا . إن المنفى وحيد أينما حل .

الأصدقاء والزوجات والآباء والأخوة موجودون فى الوطن . هم به وهو بهم . وبدونه لا شىء ، ولكن أين هو هذا الوطن ؟

أيها المنفى الحزين كف عن التصعيد فإنك مثال الجميع. إنهم يعاينون نادبين ما يحيط بهم يتقلص تقلص الظل . ويرون نائحين الآباء والاخوة والزوجات والأصدقاء يتوارون كأنهم ما كانوا ، وذلك لأن الوطن ليس ههنا بل إنه هنالك فى الأعالى . عبثًا يبحث الإنسان عنه فى الأرض وأن ما يعتبرانه الوطن فيها إنما هو مبيت ليلة ؛ فهو يظل والحالة هذه ضالاً حتى يجتاز عتبته ألا وهى القبر. هناك يحدث الحادث الخفى الذى عجزت وتعجز عنه المدارك البشرية . هنالك يتجرد غير المحسوس من المحسوس ؛ أى يتجرد الروح من الجسد . فتجد الأولى الوطن .

فليرشد الله الضال .

* * *

٤٢

لقد لاح لنا الوطن

وابتهجنا ونحن فوق طبقات الظلال . ورأينا الزمن يدفعها فى الفضاء دفع ريح الهاجرة لتلك الأبخرة المتصاعدة من السهل فى الأباعد .

وصعدنا . وظل صعودنا مطرداً اطراداً عاينا فى أثنائه ما لم يكشفه النظر ونحن على الأرض . وسمعنا صدى غير صدى الأشباح الذى يصل إلى آذاننا ونحن فيها أحياء نسعى . وكان سمعنا ونظرنا محيطين بذاك الصدى وتلك المرئيات إحاطة محسوسة اعتقدنا معها بأن جميع ما وقعت عليه حواسنا فى السابق لم يكن سوى حلم تلاشى مع تنفس الصباح .

ماذا نقول لبنى الأرض ، وماذا يفهمون ؟ نقول إننا رأينا محيطًا جامداً لا نهائيًا متضمنًا ثلاثة محائط . الأول هو القوة . والثانى هو النور . والثالث هو الحياة ، وهى متداخلة بعضها فى بعض تداخلاً مدهشًا . فتكوِّن وحدانية غير منظورة مطلقة وأبدية . وهذه الوحدانية هى الكائن . وفى أعماقها صلة جامعة بين ثلاث قوات وهى : الآب والابن والروح . وقد أنتجت نسلاً لا يدرك . ومجموعها هو الكائن . وقد بدا لنا الآب قدرة لا حد لها هى الأزل ذاته ، ثم بدا لنا الابن كلمة ناطقة

بتلك القدرة ومعرفة إياها ، ثم بدا لنا الروح حبًا متبادلاً بين الاثنين منعشًا حياة دائمة لا نهائية اختص بها الكائن الأزلى . والثلاثة واحد. والجميع هم الله . وهم متحدون اتحادًا كليًا تنبثق منه المسرة الأبدية للكائن الأبدى . ورأينا فى أعماق الكينونة اللانهائية الخليقة كجزيرة فى وسط بحر لا حد له. زاهرة فيه كزهرة تمكن أصولها فى الماء ، وتبسط أوراقها على سطحه.

وشاهدنا الخلائق تتوالد وتنتشر مستمدة الحياة من قدرة الكائن ونوره وحياته . وانكشف لنا ما كان مخفيًا وراء المادة . فتنقلنا فى الأعالى مستفيدين تنقل الفكر البشرى غير المستفيد بل العيُّ . حتى إذا انبهرنا من مدهشات القدرة والحكمة والحب انتقلنا إلى مصدرها الأصلى . ففهمنا ما هو الوطن . وثملنا من بهاء النور . وحملت روحنا على أجنحة الأنغام فنامت على التماوجات السماوية نومًا لا يعادله نوم .

ثم رأينا الكلمة على يمين الآب مشعة أنوار المجد الأبدى وحولها أرواح تسبح . وكانت الطبيعة أى المادة قد وصلت إلى أقصى درجات الانحطاط والضعف فسقطت عليها نقطة دم من الكلمة المتجسدة فانعشتها فسرت فيها روح العلو فسمت .

وصاحت البشرية قائلة : مبارك ذاك الذى غلب الموت وأباد الشر . ثم مال الابن إلى صدر الآب فظللتهما الروح فأغلق علينا بين تهاليل السماوات .

* * *

المقدم فى سطور :

نبيل فرج (٣٠ يوليو ١٩٤٠ -)

- ليسانس آداب ، جامعة الإسكندرية ١٩٦١
- عضو المجلس الأعلى للثقافة .
- مدير تحرير مجلة «الكتاب والنشر» .
- المراسل الأدبى لدار الصيّاد اللبنانية بالقاهرة .
- عضو اتحاد الكتاب .
- نشر مقالاته النقدية فى الآداب والفنون فى عدد كبير من المجلات والصحف فى : القاهرة ، بيروت ، دمشق ، بغداد ، الإمارات العربية ، الكويت ، لندن ، وغيرها .
- صدر له ٢٥ كتابًا عن الدور وهيئات النشر المختلفة .

من هذه الكتب :

- التراث المفقود (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .
- المقاعد الشاغرة فى الثقافة العربية (الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .
- لويس عوض مقالات وأحاديث (المجلس الأعلى للثقافة ٢٠٠١) .
- طه حسين وثائق أدبية (كتاب الهلال فبراير ٢٠٠٤) .

المشروع القومى للترجمة

المشـروع القومـى للترجمـة مشـروع تنميـة ثقافيـة بالدرجـة الأولى ، ينطلق من الإيجابيات التى حققتها مشروعات الترجمة التى سبقته فى مصر والعالم العربى ويسعى إلى الإضافة بما يفتح الأفق على وعود المستقبل، معتمداً المبادئ التالية :

١- الخروج من أسر المركزية الأوروبية وهيمنة اللغتين الإنجليزية والفرنسية .

٢- التوازن بين المعارف الإنسانية فى المجالات العلمية والفنية والفكرية والإبداعية .

٣- الانحياز إلى كل ما يؤسس لأفكار التقدم وحضور العلم وإشاعة العقلانية والتشجيع على التجريب .

٤- ترجمة الأصول المعرفية التى أصبحت أقرب إلى الإطار المرجعى فى الثقافة الإنسانية المعاصرة، جنبًا إلى جنب المنجزات الجديدة التى تضع القارئ فى القلب من حركة الإبداع والفكر العالميين .

٥- العمل على إعداد جيل جديد من المترجمين المتخصصين عن طريق ورش العمل بالتنسيق مع لجنة الترجمة بالمجلس الأعلى للثقافة .

٦- الاستعانة بكل الخبرات العربية وتنسيق الجهود مع المؤسسات المعنية بالترجمة .

المشروع القومى للترجمة

١-	اللغة العليا	جون كوين	أحمد درويش
٢-	الوثنية والإسلام (ط١)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣-	التراث المسروق	جورج جيمس	شوقى جلال
٤-	كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتنكوفا	أحمد الحضرى
٥-	ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
٦-	اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفيتش	سعد مصلوح ووفاء كامل فايد
٧-	العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولدمان	يوسف الأنطكى
٨-	مشعلو الحرائق	ماكس فريش	مصطفى ماهر
٩-	التغيرات البيئية	أندرو. س. جودى	محمود محمد عاشور
١٠-	خطاب الحكاية	جيرار جينيت	محمد معتصم وعبد الجليل الأزدى وعمر حلى
١١-	مختارات	فيسوافا شيمبوريسكا	هناء عبد الفتاح
١٢-	طريق الحرير	ديفيد براونيستون وايرين فرانك	أحمد محمود
١٣-	ديانة الساميين	روبرتسن سميث	عبد الوهاب علوب
١٤-	التحليل النفسى للأدب	جان بيلمان نويل	حسن المودن
١٥-	الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	أشرف رفيق عفيفى
١٦-	أثينة السوداء (جـ١)	مارتن برنال	بإشراف: أحمد عتمان
١٧-	مختارات	فيليب لاركين	محمد مصطفى بدوى
١٨-	الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	طلعت شاهين
١٩-	الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	نعيم عطية
٢٠-	قصة العلم	ج. ج. كراوثر	يمنى طريف الخولى و بدوى عبد الفتاح
٢١-	خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ماجدة العنانى
٢٢-	مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	سيد أحمد على الناصرى
٢٣-	تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	سعيد توفيق
٢٤-	ظلال المستقبل	باتريك بارندر	بكر عباس
٢٥-	مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	إبراهيم الدسوقى شتا
٢٦-	دين مصر العام	محمد حسين هيكل	أحمد محمد حسين هيكل
٢٧-	التنوع البشرى الخلاق	مقالات	نخبة
٢٨-	رسالة فى التسامح	جون لوك	منى أبو سنة
٢٩-	الموت والوجود	جيمس ب. كارس	بدر الديب
٣٠-	الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو بانيكار	أحمد فؤاد بلبع
٣١-	مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	عبد الستار الحلوجى وعبد الوهاب علوب
٣٢-	الانقراض	ديفيد روس	مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣-	التاريخ الاقتصادى لأفريقيا الغربية	أ. ج. هوبكنز	أحمد فؤاد بلبع
٣٤-	الرواية العربية	روجر آلن	حصة إبراهيم المنيف
٣٥-	الأسطورة والحداثة	بول . ب . ديكسون	خليل كلفت
٣٦-	نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	حياة جاسم محمد
٣٧-	واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	جمال عبد الرحيم

٣٨-	نقد الحداثة	آلن تورين	أنور مغيث
٣٩-	الإغريق والحسد	بيتر والكوت	منيرة كروان
٤٠-	قصائد حب	آن سكستون	محمد عيد إبراهيم
٤١-	ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	عاطف أحمد وإبراهيم فتحي ومحمود ماجد
٤٢-	عالم ماك	بنجامين باربر	أحمد محمود
٤٣-	اللهب المزدوج	أوكتافيو پاث	المهدى أخريف
٤٤-	بعد عدة أصياف	ألدوس هكسلي	مارلين تادرس
٤٥-	التراث المغدور	روبرت ج دنيا – جون ف أ فاين	أحمد محمود
٤٦-	عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	محمود السيد على
٤٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ١)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨-	حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ماهر جويجاتي
٤٩-	الإسلام في البلقان	هـ . ت . نوريس	عبد الوهاب علوب
٥٠-	ألف ليلة وليلة أو القول الأسير .	جمال الدين بن الشيخ	محمد برادة وعثماني الميلود ويوسف الأنطكي
٥١-	مسار الرواية الإسبانو أمريكية	داريو بيانويبا وخ. م بينياليستى	محمد أبو العطا
٥٢-	العلاج النفسى التدعيمى	ب. نوفاليس وس . روجسيفيتز وروجر بيل	لطفى فطيم وعادل دمرداش
٥٣-	الدراما والتعليم	أ . ف . ألنجتون	مرسى سعد الدين
٥٤-	المفهوم الإغريقي للمسرح	ج . مايكل والتون	محسن مصيلحى
٥٥-	ما وراء العلم	چون بولكنجهوم	على يوسف على
٥٦-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ١)	فديريكو غرسية لوركا	محمود على مكى
٥٧-	الأعمال الشعرية الكاملة (جـ٢)	فديريكو غرسية لوركا	محمود السيد و ماهر البطوطى
٥٨-	مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	محمد أبو العطا
٥٩-	المحبرة (مسرحية)	كارلوس مونييث	السيد السيد سهيم
٦٠-	التصميم والشكل	جوهانز إيتين	صبرى محمد عبد الغنى
٦١-	موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور – سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهرى
٦٢-	لذّة النّص	رولان بارت	محمد خير البقاعى .
٦٣-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤-	برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	رمسيس عوض .
٦٥-	في مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	رمسيس عوض .
٦٦-	خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧-	مختارات	فرناندو بيسوا	المهدى أخريف
٦٨-	نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	أشرف الصباغ
٦٩-	العالم الإسلامي في أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠-	ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج رودريجث	عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١-	السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	حسين محمود
٧٢-	السياسى العجوز	ت . س . إليوت	فؤاد مجلى
٧٣-	نقد استجابة القارئ	چين . ب . تومبكنز	حسن ناظم وعلى حاكم
٧٤-	صلاح الدين والمماليك في مصر	ل . ا . سيمينوڤا	حسن بيومى
٧٥-	فن التراجم والسير الذاتية	أندريه موروا	أحمد درويش
٧٦-	جاك لاكان وإغواء التحليل النفسى	مجموعة من الكتاب	عبد المقصود عبد الكريم

٧٧-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٢)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٧٨-	العولمة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكونية	رونالد روبرتسون	أحمد محمود ونورا أمين
٧٩-	شعرية التأليف	بوريس أوسبنسكي	سعيد الغانمي وناصر حلاوى
٨٠-	بوشكين عند «نافورة الدموع»	ألكسندر بوشكين	مكارم الغمرى
٨١-	الجماعات المتخيلة	بندكت أندرسن	محمد طارق الشرقاوى
٨٢-	مسرح ميجيل	ميجيل دى أونامونو	محمود السيد على
٨٣-	مختارات	غوتفريد بن	خالد المعالى
٨٤-	موسوعة الأدب والنقد	مجموعة من الكتاب	عبد الحميد شيحة
٨٥-	منصور الحلاج (مسرحية)	صلاح زكى أقطاى	عبد الرازق بركات
٨٦-	طول الليل	جمال مير صادقى	أحمد فتحى يوسف شتا
٨٧-	نون والقلم	جلال آل أحمد	ماجدة العنانى
٨٨-	الابتلاء بالتغرب	جلال آل أحمد	إبراهيم الدسوقى شتا
٨٩-	الطريق الثالث	أنتونى جيدنز	أحمد زايد ومحمد محيى الدين
٩٠-	وسم السيف	ميجل دى ثربانتس	محمد إبراهيم مبروك
٩١-	المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق	باربر الاسوستكا	محمد هناء عبد الفتاح
٩٢-	أساليب ومضامين المسرح الإسبانوأمريكى المعاصر	كارلوس ميجيل	نادية جمال الدين
٩٣-	محدثات العولمة	مايك فيذرستون وسكوت لاش	عبد الوهاب علوب
٩٤-	الحب الأول والصحبة	صمويل بيكيت	فوزية العشماوى
٩٥-	مختارات من المسرح الإسبانى	أنطونيو بويرو باييخو	صبرى محمد عبد اللطيف
٩٦-	ثلاث زنبقات ووردة	قصص مختارة	إدوار الخراط
٩٧-	هوية فرنسا (مج١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
٩٨-	الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى	نخبة	أشرف الصباغ
٩٩-	تاريخ السينما العالمية	ديفيد روبنسون	إبراهيم قنديل
١٠٠-	مساءلة العولمة	بول هيرست وجراهام تومبسون	إبراهيم فتحى
١٠١-	النص الروائى (تقنيات ومناهج)	بيرنار فاليط	رشيد بنحدو
١٠٢-	السياسة والتسامح	عبد الكريم الخطيبى	عز الدين الكتانى الإدريسى
١٠٣-	قبر ابن عربى يليه آياء	عبد الوهاب المؤدب	محمد بنيس
١٠٤-	أوبرا ماهوجنى	برتولت بريشت	عبد الغفار مكاوى
١٠٥-	مدخل إلى النص الجامع	جيرار جينيت	عبد العزيز شبيل
١٠٦-	الأدب الأندلسى	ماريا خيسوس روبييرامتى	أشرف على دعدور
١٠٧-	صورة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة	محمد عبد الله الجعيدى
١٠٨-	ثلاث دراسات عن الشعر الأندلسى	مجموعة من النقاد	محمود على مكى
١٠٩-	حروب المياه	جون بولوك وعادل درويش	هاشم أحمد محمد
١١٠-	النساء فى العالم النامى	حسنة بيجوم	منى قطان
١١١-	المرأة والجريمة	فرانسيس هيدسون	ريهام حسين إبراهيم
١١٢-	الاحتجاج الهادئ	أرلين علوى ماكليود	إكرام يوسف
١١٣-	راية التمرد	سادى پلانت	أحمد حسان
١١٤-	مسرحيتا حصاد كونجى وسكان المستنقع	وول شوينكا	نسيم مجلى
١١٥-	غرفة تخص المرء وحده	فرجينيا وولف	سمية رمضان

١١٦-	امرأة مختلفة (درية شفيق)	سينثيا نلسون	نهاد أحمد سالم
١١٧-	المرأة والجنوسة فى الإسلام	ليلى أحمد	منى إبراهيم وهالة كمال
١١٨-	النهضة النسائية فى مصر	بث بارون	لميس النقاش
١١٩-	النساء والأسرة وقوانين الطلاق	أميرة الأزهرى سنبل	بإشراف: رءوف عباس
١٢٠-	الحركة النسائية والتطور فى الشرق الأوسط	ليلى أبو لغد	نخبة من المترجمين
١٢١-	الدليل الصغير عن الكاتبات العربيات	فاطمة موسى	محمد الجندى وإيزابيل كمال
١٢٢-	نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان	جوزيف فوجت	منيرة كروان
١٢٣-	الإمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية	نيتل ألكسندر وفنادولينا	أنور محمد إبراهيم
١٢٤-	الفجر الكاذب	جون جراى	أحمد فؤاد بلبع
١٢٥-	التحليل الموسيقى	سيدريك ثورپ ديڤى	سمحة الخولى
١٢٦-	فعل القراءة	ڤولفانج إيسر	عبد الوهاب علوب
١٢٧-	إرهاب	صفاء فتحى	بشير السباعى
١٢٨-	الأدب المقارن	سوزان باسنيت	أميرة حسن نويرة
١٢٩-	الرواية الإسبانية المعاصرة	ماريا دولورس أسيس جاروته	محمد أبو العطا وآخرون
١٣٠-	الشرق يصعد ثانية	أندريه جوندر فرانك	شوقى جلال
١٣١-	مصر القديمة (التاريخ الاجتماعى)	مجموعة من المؤلفين	لويس بقطر
١٣٢-	ثقافة العولمة	مايك فيذرستون	عبد الوهاب علوب
١٣٣-	الخوف من المرايا	طارق على	طلعت الشايب
١٣٤-	تشريح حضارة	بارى ج. كيمب	أحمد محمود
١٣٥-	المختار من نقد ت. س. إليوت	ت. س. إليوت	ماهر شفيق فريد
١٣٦-	فلاحو الباشا	كينيث كونو	سحر توفيق
١٣٧-	مذكرات ضابط فى الحملة الفرنسية	چوزيف مارى مواريه	كاميليا صبحى
١٣٨-	عالم التليفزيون بين الجمال والعنف	إيڤلينا تارونى	وجيه سمعان عبد المسيح
١٣٩-	پارسيڤال	ريشارد ڤاچنر	مصطفى ماهر
١٤٠-	حيث تلتقى الأنهار	هربرت ميسن	أمل الجبورى
١٤١-	اثنتا عشرة مسرحية يونانية	مجموعة من المؤلفين	نعيم عطية
١٤٢-	الإسكندرية : تاريخ ودليل	أ. م. فورستر	حسن بيومى
١٤٣-	قضايا التنظير فى البحث الاجتماعى	ديريك لايدار	عدلى السمرى
١٤٤-	صاحبة اللوكاندة	كارلو جولدونى	سلامة محمد سليمان
١٤٥-	موت أرتيميو كروث	كارلوس فوينتس	أحمد حسان
١٤٦-	الورقة الحمراء	ميجيل دى ليبس	على عبدالرءوف البمبى
١٤٧-	خطبة الإدانة الطويلة	تانكريد دورست	عبدالغفار مكاوى
١٤٨-	القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	على إبراهيم منوفى
١٤٩-	النظرية الشعرية عند إليوت وأدونيس	عاطف فضول	أسامة إسبر
١٥٠-	التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليتمان	منيرة كروان
١٥١-	هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ١)	فرنان بروديل	بشير السباعى
١٥٢-	عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	محمد محمد الخطابى
١٥٣-	غرام الفراعنة	فيولين فانويك	فاطمة عبدالله محمود
١٥٤-	مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	خليل كلفت

١٥٥- الشعر الأمريكي المعاصر	نخبة من الشعراء	أحمد مرسى
١٥٦- المدارس الجمالية الكبرى	جي أنبال وآلان وأوديت ڤيرمو	مى التلمسانى
١٥٧- خسرو وشيرين	النظامي الكنوجي	عبدالعزيز بقوش
١٥٨- هوية فرنسا (مج ٢ ، جـ٢)	فرنان برودل	بشير السباعى
١٥٩- الإيديولوجية	ديڤيد هوكس	إبراهيم فتحى
١٦٠- آلة الطبيعة	بول إيرليش	حسين بيومى
١٦١- من المسرح الإسباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	زيدان عبدالحليم زيدان
١٦٢- تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسيوى	صلاح عبدالعزيز محجوب
١٦٣- موسوعة علم الاجتماع	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهرى
١٦٤- شامبوليون (حياة من نور)	چان لاكوتير	نبيل سعد
١٦٥- حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	سهير المصادفة
١٦٦- العلاقات بين المتدينين والعلمانيين في إسرائيل	يشعياهو ليڤمان	محمد محمود أبو غدير
١٦٧- في عالم طاغور	رابندرانات طاغور	شكرى محمد عياد
١٦٨- دراسات في الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	شكرى محمد عياد
١٦٩- إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	شكرى محمد عياد
١٧٠- الطريق	ميغيل دليبيس	بسام ياسين رشيد
١٧١- وضع حد	فرانك بيجو	هدى حسين
١٧٢- حجر الشمس	مختارات	محمد محمد الخطابى
١٧٣- معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤- صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	أحمد محمود
١٧٥- التليفزيون في الحياة اليومية	لورينزو ڤيلشس	وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦- نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	جلال البنا
١٧٧- أنطون تشيخوف	هنرى تروايا	حصة إبراهيم المنيف
١٧٨- مختارات من الشعر اليوناني الحديث	نخبة من الشعراء	محمد حمدى إبراهيم
١٧٩- حكايات أيسوب	أيسوب	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠- قصة جاويد	إسماعيل فصيح	سليم عبد الأمير حمدان
١٨١- النقد الأدبي الأمريكي	ڤنسنت ب ليتش	محمد يحيى
١٨٢- العنف والنبوءة	و.ب. ييتس	ياسين طه حافظ
١٨٣- چان كوكتو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	فتحى العشرى
١٨٤- القاهرة... حالمة لا تنام	هانز إيندورفر	دسوقى سعيد
١٨٥- أسفار العهد القديم	توماس تومسن	عبد الوهاب علوب
١٨٦- معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل إنوود	إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧- الأرضة	بُزرج علوى	محمد علاء الدين منصور
١٨٨- موت الأدب	ألفين كرنان	بدر الديب
١٨٩- العمى والبصيرة	بول دى مان	سعيد الغانمى
١٩٠- محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	محسن سيد فرجانى
١٩١- الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	مصطفى حجازى السيد
١٩٢- سياحت نامه إبراهيم بك (جـ١)	زين العابدين المراغي	محمود سلامة علاوى
١٩٣- عامل المنجم	بيتر أبراهامز	محمد عبد الواحد محمد

١٩٤-	مختارات من النقد الأنجلو-أمريكي	مجموعة من النقاد	ماهر شفيق فريد
١٩٥-	شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	محمد علاء الدين منصور
١٩٦-	المهلة الأخيرة	فالتين راسبوتين	أشرف الصباغ
١٩٧-	الفاروق	شمس العلماء شبلي النعماني	جلال السعيد الحفناوي
١٩٨-	الاتصال الجماهيري	ادوين إمري وآخرون	إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩-	تاريخ يهود مصر في الفترة العثمانية	يعقوب لانداوي	جمال أحمد الرفاعي وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠-	ضحايا التنمية	جيرمي سيبروك	فخري لبيب
٢٠١-	الجانب الديني للفلسفة	جوزايا رويس	أحمد الأنصاري
٢٠٢-	تاريخ النقد الأدبي الحديث (جـ٤)	رينيه ويليك	مجاهد عبد المنعم مجاهد
٢٠٣-	الشعر والشاعرية	ألطاف حسين حالي	جلال السعيد الحفناوي
٢٠٤-	تاريخ نقد العهد القديم	زالمان شازار	أحمد محمود هويدي
٢٠٥-	الجينات والشعوب واللغات	لويجي لوقا كافاللي- سفورزا	أحمد مستجير
٢٠٦-	الهيولية تصنع علماً جديداً	جيمس جلايك	علي يوسف علي
٢٠٧-	ليل أفريقي	رامون خوتاسندير	محمد أبو العطا
٢٠٨-	شخصية العربي في المسرح الإسرائيلي	دان أوريان	محمد أحمد صالح
٢٠٩-	السرد والمسرح	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٠-	مثنويات حكيم سنائي	سنائي الغزنوي	يوسف عبد الفتاح فرج
٢١١-	فردينان دوسوسير	جوناثان كلر	محمود حمدي عبد الغني
٢١٢-	قصص الأمير مرزبان	مرزبان بن رستم بن شروين	يوسف عبدالفتاح فرج
٢١٣-	مصر منذ قدوم نابليون حتى رحيل عبدالناصر	ريمون فلاور	سيد أحمد علي الناصري
٢١٤-	قواعد جديدة للمنهج في علم الاجتماع	أنتوني جيدنز	محمد محمود محي الدين
٢١٥-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٢)	زين العابدين المراغي	محمود سلامة علاوي
٢١٦-	جوانب أخرى من حياتهم	مجموعة من المؤلفين	أشرف الصباغ
٢١٧-	مسرحيتان طليعيتان	ص. بيكيت	نادية البنهاوي
٢١٨-	لعبة الحجلة (رايولا)	خوليو كورتازار	علي إبراهيم منوفي
٢١٩-	بقايا اليوم	كازو ايشجورو	طلعت الشايب
٢٢٠-	الهيولية في الكون	باري باركر	علي يوسف علي
٢٢١-	شعرية كفافي	جريجوري جوزدانيس	رفعت سلام
٢٢٢-	فرانز كافكا	رونالد جراي	نسيم مجلي
٢٢٣-	العلم في مجتمع حر	بول فيرابند	السيد محمد نفادي
٢٢٤-	دمار يوغسلافيا	برانكا ماجاس	منى عبدالظاهر إبراهيم
٢٢٥-	حكاية غريق	جابرييل جارثيا ماركث	السيد عبدالظاهر السيد
٢٢٦-	أرض المساء وقصائد أخرى	ديفيد هربرت لورانس	طاهر محمد علي البربري
٢٢٧-	المسرح الإسباني في القرن السابع عشر	موسى ماريا نيف بوركي	السيد عبدالظاهر عبدالله
٢٢٨-	علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	جانيت وولف	ماري تيريز عبدالمسيح وخالد حسن
٢٢٩-	مأزق البطل الوحيد	نورمان كيجان	أمير إبراهيم العمري
٢٣٠-	عن الذباب والفئران والبشر	فرانسواز جاكوب	مصطفى إبراهيم فهمي
٢٣١-	الدراقيل	خايمي سالوم بيدال	جمال عبدالرحمن
٢٣٢-	ما بعد المعلومات	توم ستينر	مصطفى إبراهيم فهمي

٢٣٣-	فكرة الاضمحلال	آرثر هومان	طلعت الشايب
٢٣٤-	الإسلام في السودان	ج. سبنسر تريمنجهام	فؤاد محمد عكود
٢٣٥-	ديوان شمس تبريزي (جـ١)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٣٦-	الولاية	ميشيل تود	أحمد الطيب
٢٣٧-	مصر أرض الوادي	روبين فيرين	عنايات حسين طلعت
٢٣٨-	العولة والتحرير	الانكتاد	ياسر محمد جادالله وعربي مدبولي أحمد
٢٣٩-	العربي في الأدب الإسرائيلي	جيلارافر – رايوخ	نادية سليمان حافظ وإيهاب صلاح فايق
٢٤٠-	الإسلام والغرب وإمكانية الحوار	كامي حافظ	صلاح عبدالعزيز محجوب
٢٤١-	في انتظار البرابرة	ج . م كويتز	ابتسام عبدالله سعيد
٢٤٢-	سبعة أنماط من الغموض	وليام إمبسون	صبري محمد حسن عبدالنبي
٢٤٣-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج١)	ليفي بروفنسال	علي عبدالرءوف اليمبي
٢٤٤-	الغليان	لاورا إسكيبيل	نادية جمال الدين محمد
٢٤٥-	نساء مقاتلات	إليزابيتا آديس	توفيق علي منصور
٢٤٦-	مختارات قصصية	جابرييل جارثيا ماركث	علي إبراهيم منوفي
٢٤٧-	الثقافة الجماهيرية والحداثة في مصر	والتر إرمبريست	محمد طارق الشرقاوي
٢٤٨-	حقول عدن الخضراء	أنطونيو جالا	عبداللطيف عبدالحليم
٢٤٩-	لغة التمزق	دراجو شتامبوك	رفعت سلام
٢٥٠-	علم اجتماع العلوم	دومنيك فينيك	ماجدة محسن أباظة
٢٥١-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٢)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
٢٥٢-	رائدات الحركة النسوية المصرية	مارجو بدران	علي بدران
٢٥٣-	تاريخ مصر الفاطمية	ل. أ. سيمينوڤا	حسن بيومي
٢٥٤-	الفلسفة	ديف روبنسون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٥-	أفلاطون	ديف روبنسون وجودي جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٦-	ديكارت	ديف روبنسون وكريس جرات	إمام عبد الفتاح إمام
٢٥٧-	تاريخ الفلسفة الحديثة	وليم كلي رايت	محمود سيد أحمد
٢٥٨-	الغجر	سير أنجوس فريزر	عُبادة كُحيلة
٢٥٩-	مختارات من الشعر الأرمني عبر العصور	اقلام مختلفة	فاروجان كازانجيان
٢٦٠-	موسوعة علم الاجتماع (جـ٣)	جوردن مارشال	بإشراف: محمد الجوهري
٢٦١-	رحلة في فكر زكي نجيب محمود	زكي نجيب محمود	إمام عبد الفتاح إمام
٢٦٢-	مدينة المعجزات	إدوارد مندوثا	محمد أبو العطا
٢٦٣-	الكشف عن حافة الزمن	جون جريبن	علي يوسف علي
٢٦٤-	إبداعات شعرية مترجمة	هوراس وشلي	لويس عوض
٢٦٥-	روايات مترجمة	أوسكار وايلد وصمويل جونسون	لويس عوض
٢٦٦-	مدير المدرسة	جلال آل أحمد	عادل عبدالمنعم سويلم
٢٦٧-	فن الرواية	ميلان كونديرا	بدر الدين عرودكي
٢٦٨-	ديوان شمس تبريزي (جـ٢)	مولانا جلال الدين الرومي	إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦٩-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ١)	وليم چيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧٠-	وسط الجزيرة العربية وشرقها (جـ٢)	وليم چيفور بالجريف	صبري محمد حسن
٢٧١-	الحضارة الغربية	توماس سي. باترسون	شوقي جلال

٢٧٢-	الأديرة الأثرية فى مصر	س. س والترز	إبراهيم سلامة
٢٧٣-	الاستعمار والثورة فى الشرق الأوسط	جوان أر. لوك	عنان الشهاوى
٢٧٤-	السيدة باربارا	روموِلو جلاجوس	محمود على مكى
٢٧٥-	ت. س إليوت شاعراً وناقداً وكاتباً مسرحياً	أقلام مختلفة	ماهر شفيق فريد
٢٧٦-	فنون السينما	فرانك جوتيران	عبد القادر التلمسانى
٢٧٧-	الچينات: الصراع من أجل الحياة	بريان فورد	أحمد فوزى
٢٧٨-	البدايات	إسحق عظيموف	ظريف عبدالله
٢٧٩-	الحرب الباردة الثقافية	ف.س. سوندرز	طلعت الشايب
٢٨٠-	من الأدب الهندى الحديث والمعاصر	بريم شند وآخرون	سمير عبدالحميد
٢٨١-	الفردوس الأعلى	مولانا عبد الحليم شرر الكهنوى	جلال الحفناوى
٢٨٢-	طبيعة العلم غير الطبيعية	لويس ولبيرت	سمير حنا صادق
٢٨٣-	السهل يحترق	خوان رولفو	على البمبى
٢٨٤-	هرقل مجنوناً	يوريبيدس	أحمد عتمان
٢٨٥-	رحلة الخواجة حسن نظامى	حسن نظامى	سمير عبد الحميد
٢٨٦-	سياحت نامه إبراهيم بك (جـ٣)	زين العابدين المراغى	محمود سلامة علاوى
٢٨٧-	الثقافة والعولمة والنظام العالمى	انتونى كنج	محمد يحيى وآخرون
٢٨٨-	الفن الروائى	ديفيد لودج	ماهر البطوطى
٢٨٩-	ديوان منجوهرى الدامغانى	أبو نجم أحمد بن قوص	محمد نور الدين عبدالمنعم
٢٩٠-	علم اللغة والترجمة	جورج مونان	أحمد زكريا إبراهيم
٢٩١-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ١)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٢-	المسرح الإسبانى فى القرن العشرين (جـ٢)	فرانشسكو رويس رامون	السيد عبد الظاهر
٢٩٣-	مقدمة للأدب العربى	روجر ألن	نخبة من المترجمين
٢٩٤-	فن الشعر	بوالو	رجاء ياقوت صالح
٢٩٥-	سلطان الأسطورة	جوزيف كامبل	بدر الدين حب الله الديب
٢٩٦-	مكبث	وليم شكسبير	محمد مصطفى بدوى
٢٩٧-	فن النحو بين اليونانية والسريانية	ديونيسيوس ثراكس ويوسف الأهوانى	ماجدة محمد أنور
٢٩٨-	مأساة العبيد	أبو بكر تفاوابليوه	مصطفى حجازى السيد
٢٩٩-	ثورة فى التكنولوجيا الحيوية	جين ل. ماركس	هاشم أحمد فؤاد
٣٠٠-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج١)	لويس عوض	جمال الجزيرى وبهاء جاهين وإيزابيل كمال
٣٠١-	أسطورة بروميثيوس فى الأدبين الإنجليزى والفرنسى (مج٢)	لويس عوض	جمال الجزيرى و محمد الجندى
٣٠٢-	فتجنشتين	جون هيتون وجودى جروفز	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٣-	بوذا	جين هوب وبورن فان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٤-	ماركس	ريوس	إمام عبد الفتاح إمام
٣٠٥-	الجلد	كروزيو مالابارته	صلاح عبد الصبور
٣٠٦-	الحماسة: النقد الكانطى للتاريخ	جان فرانسوا ليوتار	نبيل سعد
٣٠٧-	الشعور	ديفيد بابينو	محمود محمد أحمد
٣٠٨-	علم الوراثة	ستيف جونز	ممدوح عبد المنعم أحمد
٣٠٩-	الذهن والمخ	أنجوس جيلاتى	جمال الجزيرى
٣١٠-	يونج	ناجى هيد	محيى الدين محمد حسن

٢١١-	مقال فى المنهج الفلسفى	كولنجوود	فاطمة إسماعيل
٢١٢-	روح الشعب الأسود	وليم دى بويز	أسعد حليم
٢١٣-	أمثال فلسطينية	خايير بيان	عبدالله الجعيدى
٢١٤-	الفن كعدم	جينس مينيك	هويدا السباعى
٢١٥-	جرامشى فى العالم العربى	ميشيل بروندينو	كاميليا صبحى
٢١٦-	محاكمة سقراط	آ.ف. ستون	نسيم مجلى
٢١٧-	بلا غد	شير لايموفا- زنيكين	أشرف الصباغ
٢١٨-	الأدب الروسى فى السنوات العشر الأخيرة	نخبة	أشرف الصباغ
٢١٩-	صور دريدا	جايتر ياسبيفاك وكرستوفر نوريس	حسام نايل
٢٢٠-	لمعة السراج فى حضرة التاج	مؤلف مجهول	محمد علاء الدين منصور
٢٢١-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ١)	ليفى برو فنسال	نخبة من المترجمين
٢٢٢-	وجهات غربية حديثة فى تاريخ الفن	فيليو يوجين كلينباور	خالد مفلح حمزة
٢٢٣-	فن الساتورا	تراث يونانى قديم	هانم سليمان
٢٢٤-	اللعب بالنار	أشرف أسدى	محمود سلامة علاوى
٢٢٥-	عالم الآثار	فيليب بوسان	كرستين يوسف
٢٢٦-	المعرفة والمصلحة	جورجين هابرماس	حسن صقر
٢٢٧-	مختارات شعرية مترجمة (جـ١)	نخبة	توفيق على منصور
٢٢٨-	يوسف وزليخا	نور الدين عبد الرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٢٢٩-	رسائل عيد الميلاد	تد هيوز	محمد عيد إبراهيم
٢٣٠-	كل شىء عن التمثيل الصامت	مارفن شبرد	سامى صلاح
٢٣١-	عندما جاء السردين	ستيفن جراى	سامية دياب
٢٣٢-	القصة القصيرة فى إسبانيا	نخبة	على إبراهيم منوفى
٢٣٣-	الإسلام فى بريطانيا	نبيل مطر	بكر عباس
٢٣٤-	لقطات من المستقبل	آرثر.س كلارك	مصطفى فهمى
٢٣٥-	عصر الشك	ناتالى ساروت	فتحى العشرى
٢٣٦-	متون الأهرام	نصوص قديمة	حسن صابر
٢٣٧-	فلسفة الولاء	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٢٣٨-	نظرات حائرة (وقصص أخرى من الهند)	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٢٣٩-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٣)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٢٤٠-	اضطراب فى الشرق الأوسط	بيرش بيربيروجلو	فخرى لبيب
٢٤١-	قصائد من رلكه	راينر ماريا رلكه	حسن حلمى
٢٤٢-	سلامان وأبسال	نور الدين عبدالرحمن بن أحمد	عبد العزيز بقوش
٢٤٣-	العالم البرجوازى الزائل	نادين جورديمر	سمير عبد ربه
٢٤٤-	الموت فى الشمس	بيتر بلانجوه	سمير عبد ربه
٢٤٥-	الركض خلف الزمن	بونه نداشى	يوسف عبد الفتاح فرج
٢٤٦-	سحر مصر	رشاد رشدى	جمال الجزيرى
٢٤٧-	الصبية الطائشون	جان كوكتو	بكر الحلو
٢٤٨-	المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ١)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٢٤٩-	دليل القارئ إلى الثقافة الجادة	أرثر والدرون وآخرون	أحمد عمر شاهين

٣٥٠- بانوراما الحياة السياحية	أقلام مختلفة	عطية شحاتة
٣٥١- مبادئ المنطق	جوزايا رويس	أحمد الانصارى
٣٥٢- قصائد من كفافيس	قسطنطين كفافيس	نعيم عطية
٣٥٣- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة الهندسية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
٣٥٤- الفن الإسلامى فى الأندلس (الزخرفة النباتية)	باسيليو بابون مالدوناند	على إبراهيم منوفى
٣٥٥- التيارات السياسية فى إيران	حجت مرتضى	محمود سلامة علاوى
٣٥٦- الميراث المر	بول سالم	بدر الرفاعى
٣٥٧- متون هيرميس	نصوص قديمة	عمر الفاروق عمر
٣٥٨- أمثال الهوسا العامية	نخبة	مصطفى حجازى السيد
٣٥٩- محاورات بارمنيدس	أفلاطون	حبيب الشارونى
٣٦٠- أنثروبولوجيا اللغة	أندريه جاكوب ونويلا باركان	ليلى الشربينى
٣٦١- التصحر: التهديد والمجابهة	آلان جرينجر	عاطف معتمد وآمال شاور
٣٦٢- تلميذ بابنيبرج	هاينرش شبورال	سيد أحمد فتح الله
٣٦٣- حركات التحرير الأفريقية	ريتشارد جيبسون	صبرى محمد حسن
٣٦٤- حداثة شكسبير	إسماعيل سراج الدين	نجلاء أبو عجاج
٣٦٥- سأم باريس	شارل بودلير	محمد أحمد حمد
٣٦٦- نساء يركضن مع الذئاب	كلاريسا بنكولا	مصطفى محمود محمد
٣٦٧- القلم الجرىء	نخبة	البراق عبدالهادى رضا
٣٦٨- المصطلح السردى	جيرالد برنس	عابد خزندار
٣٦٩- المرأة فى أدب نجيب محفوظ	فوزية العشماوى	فوزية العشماوى
٣٧٠- الفن والحياة فى مصر الفرعونية	كليرلا لويت	فاطمة عبدالله محمود
٣٧١- المتصوفة الأولون فى الأدب التركى (جـ٢)	محمد فؤاد كوبريلى	عبدالله أحمد إبراهيم
٣٧٢- عاش الشباب	وانغ مينغ	وحيد السعيد عبدالحميد
٣٧٣- كيف تعد رسالة دكتوراه	أمبرتو إيكو	على إبراهيم منوفى
٣٧٤- اليوم السادس	أندريه شديد	حمادة إبراهيم
٣٧٥- الخلود	ميلان كونديرا	خالد أبو اليزيد
٣٧٦- الغضب وأحلام السنين	نخبة	إدوار الخراط
٣٧٧- تاريخ الأدب فى إيران (جـ٤)	على أصغر حكمت	محمد علاء الدين منصور
٣٧٨- المسافر	محمد إقبال	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٧٩- ملك فى الحديقة	سنيل باث	جمال عبدالرحمن
٣٨٠- حديث عن الخسارة	جونتر جراس	شيرين عبدالسلام
٣٨١- أساسيات اللغة	ر. ل. تراسك	رانيا إبراهيم يوسف
٣٨٢- تاريخ طبرستان	بهاء الدين محمد إسفنديار	أحمد محمد نادى
٣٨٣- هدية الحجاز	محمد إقبال	سمير عبدالحميد إبراهيم
٣٨٤- القصص التى يحكيها الأطفال	سوزان إنجيل	إيزابيل كمال
٣٨٥- مشترى العشق	محمد على بهزادراد	يوسف عبدالفتاح فرج
٣٨٦- دفاعًا عن التاريخ الأدبى النسوى	جانيت تود	ريهام حسين إبراهيم
٣٨٧- أغنيات وسوناتات	جون دن	بهاء جاهين
٣٨٨- مواعظ سعدى الشيرازى	سعدى الشيرازى	محمد علاء الدين منصور

٢٨٩-	من الأدب الباكستاني المعاصر	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٢٩٠-	الأرشيفات والمدن الكبرى	نخبة	عثمان مصطفى عثمان
٢٩١-	الحافلة الليلكية	مايف بينشى	منى الدروبى
٢٩٢-	مقامات ورسائل أندلسية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٢٩٣-	فى قلب الشرق	ندوة لويس ماسينيون	زينب محمود الخضيرى
٢٩٤-	القوى الأربع الأساسية فى الكون	بول ديفيز	هاشم أحمد محمد
٢٩٥-	آلام سياوش	إسماعيل فصيح	سليم حمدان
٢٩٦-	السافاك	تقى نجارى راد	محمود سلامة علاوى
٢٩٧-	نيتشه	لورانس جين	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٨-	سارتر	فيليب تودى	إمام عبدالفتاح إمام
٢٩٩-	كامى	ديفيد ميروفتس	إمام عبدالفتاح إمام
٤٠٠-	مومو	مشيائيل إنده	باهر الجوهرى
٤٠١-	الرياضيات	زيادون ساردر	ممدوح عبد المنعم
٤٠٢-	هوكنج	ج. ب. ماك ايفوى	ممدوح عبدالمنعم
٤٠٣-	ربة المطر والملابس تصنع الناس	توبور شتورم	عماد حسن بكر
٤٠٤-	تعويذة الحسى	ديفيد إبرام	ظبية خميس
٤٠٥-	إيزابيل	أندريه جيد	حمادة إبراهيم
٤٠٦-	المستعربون الإسبان فى القرن ١٩	مانويلا مانتاناريس	جمال عبد الرحمن
٤٠٧-	الأدب الإسبانى المعاصر بأقلام كتابه	أقلام مختلفة	طلعت شاهين
٤٠٨-	معجم تاريخ مصر	جوان فوتشركنج	عنان الشهاوى
٤٠٩-	انتصار السعادة	برتراند راسل	إلهامى عمارة
٤١٠-	خلاصة القرن	كارل بوبر	الزواوى بغورة
٤١١-	همس من الماضى	جينيفر أكرمان	أحمد مستجير
٤١٢-	تاريخ إسبانيا الإسلامية (مج٢، جـ٢)	ليفى بروفنسال	نخبة
٤١٣-	أغنيات المنفى	ناظم حكمت	محمد البخارى
٤١٤-	الجمهورية العالمية للآداب	باسكال كازانوفا	أمل الصبان
٤١٥-	صورة كوكب	فريدريش دورنيمات	أحمد كامل عبدالرحيم
٤١٦-	مبادئ النقد الأدبى والعلم والشعر	آ. آ. رتشاردز	مصطفى بدوى
٤١٧-	تاريخ النقد الأدبى الحديث (جـ٥)	رينيه ويليك	مجاهد عبدالمنعم مجاهد
٤١٨-	سياسات الزمر الحاكمة فى مصر العثمانية	جين هاثواى	عبد الرحمن الشيخ
٤١٩-	العصر الذهبى للإسكندرية	جون مايو	نسيم مجلى
٤٢٠-	مكرو ميجاس	فولتير	الطيب بن رجب
٤٢١-	الولاء والقيادة	رؤى متعددة	أشرف محمد كيلانى
٤٢٢-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ١)	نخبة	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٤٢٣-	إسراءات الرجل الطيف	نخبة	وحيد النقاش
٤٢٤-	لوائح الحق ولوامع العشق	نور الدين عبدالرحمن الجامى	محمد علاء الدين منصور
٤٢٥-	من طاووس إلى فرح	محمود طلوعى	محمود سلامة علاوى
٤٢٦-	الخفافيش وقصص أخرى	نخبة	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٢٧-	بانديراس الطاغية	باى إنكلان	ثريا شلبى

٤٢٨-	الخزانة الخفية	محمد هوتك	محمد أمان صافي
٤٢٩-	هيجل	ليود سبنسر وأندرزجي كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٠-	كانط	كرستوفر وانت وأندزجي كليموفسكي	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣١-	فوكو	كريس هوروكس وزوران جفتيك	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٢-	ماكياڤللي	باتريك كيري وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٣-	جويس	ديفيد نوريس وكارل فلنت	حمدي الجابري
٤٣٤-	الرومانسية	دونكان هيث وجودي بورهام	عصام حجازي
٤٣٥-	توجهات ما بعد الحداثة	نيكولاس زربرج	ناجي رشوان
٤٣٦-	تاريخ الفلسفة (مج١)	فردريك كوبلستون	إمام عبدالفتاح إمام
٤٣٧-	رحالة هندي في بلاد الشرق	شبلي النعماني	جلال السعيد الحفناوي
٤٣٨-	بطلات وضحايا	إيمان ضياء الدين بيبرس	عايدة سيف الدولة
٤٣٩-	موت المرابي	صدر الدين عيني	محمد علاء الدين منصور وعبد الحفيظ يعقوب
٤٤٠-	قواعد اللهجات العربية	كرستن بروستاد	محمد طارق الشرقاوي
٤٤١-	رب الأشياء الصغيرة	أرونداتي روي	فخري لبيب
٤٤٢-	حتشبسوت (المرأة الفرعونية)	فوزية أسعد	ماهر جويجاتي
٤٤٣-	اللغة العربية	كيس فرستيغ	محمد طارق الشرقاوي
٤٤٤-	أمريكا اللاتينية: الثقافات القديمة	لاوريت سيجورنه	صالح علماني
٤٤٥-	حول وزن الشعر	پرويز ناتل خانلري	محمد محمد يونس
٤٤٦-	التحالف الأسود	ألكسندر كوكبرن وجيفري سانت كلير	أحمد محمود
٤٤٧-	نظرية الكم	ج. ب. ماك إيفوي	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٨-	علم نفس التطور	ديلان إيفانز وأوسكار زاريت	ممدوح عبدالمنعم
٤٤٩-	الحركة النسائية	نخبة	جمال الجزيري
٤٥٠-	ما بعد الحركة النسائية	صوفيا فوكا وريبيكا رايت	جمال الجزيري
٤٥١-	الفلسفة الشرقية	ريتشارد أوزبورن وبورن ڤان لون	إمام عبد الفتاح إمام
٤٥٢-	لينين والثورة الروسية	ريتشارد إيجناتزي وأوسكار زاريت	محيي الدين مزيد
٤٥٣-	القاهرة: إقامة مدينة حديثة	جان لوك أرنو	حليم طوسون وفؤاد الدهان
٤٥٤-	خمسون عاماً من السينما الفرنسية	رينيه بريدال	سوزان خليل
٤٥٥-	تاريخ الفلسفة الحديثة (مج٥)	فردريك كوبلستون	محمود سيد أحمد
٤٥٦-	لا تنسني	مريم جعفري	هويدا عزت محمد
٤٥٧-	النساء في الفكر السياسي الغربي	سوزان مولر أوكين	إمام عبدالفتاح إمام
٤٥٨-	الموريسكيون الأندلسيون	مرثيدس غارثيا أرينال	جمال عبد الرحمن
٤٥٩-	نحو مفهوم لاقتصاديات الموارد الطبيعية	توم تيتنبرج	جلال البنا
٤٦٠-	الفاشية والنازية	ستوارت هود وليتزا جانستز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦١-	لكان	داريان ليدر وجودي جروفز	إمام عبدالفتاح إمام
٤٦٢-	طه حسين من الأزهر إلى السوربون	عبدالرشيد الصادق محمودي	عبدالرشيد الصادق محمودي
٤٦٣-	الدولة المارقة	ويليام بلوم	كمال السيد
٤٦٤-	ديمقراطية القلة	مايكل بارنتي	حصة إبراهيم المنيف
٤٦٥-	قصص اليهود	لويس جنزبرج	جمال الرفاعي
٤٦٦-	حكايات حب وبطولات فرعونية	فيولين فانويك	فاطمة محمود

٤٦٧-	التفكير السياسى	ستيفين ديلو	ربيع وهبة
٤٦٨-	روح الفلسفة الحديثة	جوزايا رويس	أحمد الأنصارى
٤٦٩-	جلال الملوك	نصوص حبشية قديمة	مجدى عبدالرازق
٤٧٠-	الأراضى والجودة البيئية	نخبة	محمد السيد الننة
٤٧١-	رحلة لاستكشاف أفريقيا (جـ٢)	نخبة	عبد الله عبد الرازق إبراهيم
٤٧٢-	دون كيخوتى (القسم الأول)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٣-	دون كيخوتى (القسم الثانى)	ميجيل دى ثربانتس سابيدرا	سليمان العطار
٤٧٤-	الأدب والنسوية	بام موريس	سهام عبدالسلام
٤٧٥-	صوت مصر: أم كلثوم	فرجينيا دانيلسون	عادل هلال عنانى
٤٧٦-	أرض الحبايب بعيدة: بيرم التونسى	ماريلين بوث	سحر توفيق
٤٧٧-	تاريخ الصين	هيلدا هوخام	أشرف كيلانى
٤٧٨-	الصين والولايات المتحدة	ليوشيه شنج و لى شى دونج	عبد العزيز حمدى
٤٧٩-	المقهـــى (مسرحية صينية)	لاوشه	عبد العزيز حمدى
٤٨٠-	تساى ون جى (مسرحية صينية)	كو مو روا	عبد العزيز حمدى
٤٨١-	عباءة النبى	روى متحدة	رضوان السيد
٤٨٢-	موسوعة الأساطير والرموز الفرعونية	روبير جاك تيبو	فاطمة محمود
٤٨٣-	النسوية وما بعد النسوية	سارة جامبل	أحمد الشامى
٤٨٤-	جمالية التلقى	هانسن روبيرت ياوس	رشيد بنحدو
٤٨٥-	التوبة (رواية)	نذير أحمد الدهلوى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٦-	الذاكرة الحضارية	يان أسمن	عبدالحليم عبدالغنى رجب
٤٨٧-	الرحلة الهندية إلى الجزيرة العربية	رفيع الدين المراد آبادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٨-	الحب الذى كان وقصائد أخرى	نخبة	سمير عبدالحميد إبراهيم
٤٨٩-	هُسِرل: الفلسفة علماً دقيقًا	هُسِرل	محمود رجب
٤٩٠-	أسمار الببغاء	محمد قادرى	عبد الوهاب علوب
٤٩١-	نصوص قصصية من روائع الأدب الأفريقى	نخبة	سمير عبد ربه
٤٩٢-	محمد على مؤسس مصر الحديثة	جى فارجيت	محمد رفعت عواد
٤٩٣-	خطابات إلى طالب الصوتيات	هارولد بالمر	محمد صالح الضالع
٤٩٤-	كتاب الموتى (الخروج فى النهار)	نصوص مصرية قديمة	شريف الصيفى
٤٩٥-	اللوبى	إدوارد تيفان	حسن عبد ربه المصرى
٤٩٦-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ١)	إكوادو بانولى	نخبة
٤٩٧-	العلمانية والنوع والدولة فى الشرق الأوسط	نادية العلىّ	مصطفى رياض
٤٩٨-	النساء والنوع فى الشرق الأوسط الحديث	جوديث تاكر ومارجريت مريوذر	أحمد على بدوى
٤٩٩-	تقاطعات: الأمة والمجتمع والجنس	نخبة	فيصل بن خضراء
٥٠٠-	فى طفولتى (دراسة فى السيرة الذاتية العربية)	تيتز رووكى	طلعت الشايب
٥٠١-	تاريخ النساء فى الغرب (جـ١)	أرثر جولد هامر	سحر فراج
٥٠٢-	أصوات بديلة	هدى الصدة	هالة كمال
٥٠٣-	مختارات من الشعر الفارسى الحديث	نخبة	محمد نور الدين عبدالمنعم
٥٠٤-	كتابات أساسية (جـ١)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق
٥٠٥-	كتابات أساسية (جـ٢)	مارتن هايدجر	إسماعيل المصدق

٥٠٦- ربما كان قديساً — آن تيلر — عبدالحميد فهمى الجمال
٥٠٧- سيدة الماضى الجميل — بيتر شيفر — شوقى فهيم
٥٠٨- المولوية بعد جلال الدين الرومى — عبدالباقى جلبنارلى — عبدالله أحمد إبراهيم
٥٠٩- الفقر والإحسان فى عهد سلاطين المماليك — آدم صبرة — قاسم عبده قاسم
٥١٠- الأرملة الماكرة — كارلو جولدونى — عبدالرازق عيد
٥١١- كوكب مرقّع — آن تيلر — عبدالحميد فهمى الجمال
٥١٢- كتابة النقد السينمائى — تيموثى كوريجان — جمال عبد الناصر
٥١٣- العلم الجسور — تيد أنتون — مصطفى إبراهيم فهمى
٥١٤- مدخل إلى النظرية الأدبية — جونثان كولر — مصطفى بيومى عبد السلام
٥١٥- من التقليد إلى ما بعد الحداثة — فدوى مالطى دوجلاس — فدوى مالطى دوجلاس
٥١٦- إرادة الإنسان فى شفاء الإدمان — أرنولد واشنطون ودونا باوندى — صبرى محمد حسن
٥١٧- نقش على الماء وقصص أخرى — نخبة — سمير عبد الحميد إبراهيم
٥١٨- استكشاف الأرض والكون — إسحق عظيموف — هاشم أحمد محمد
٥١٩- محاضرات فى المثالية الحديثة — جوزايا رويس — أحمد الأنصارى
٥٢٠- الولع بمصر من الحلم إلى المشروع — أحمد يوسف — أمل الصبان
٥٢١- قاموس تراجم مصر الحديثة — آرثر جولد سميث — عبدالوهاب بكر
٥٢٢- إسبانيا فى تاريخها — أميركو كاسترو — على إبراهيم منوفى
٥٢٣- الفن الطليطلى الإسلامى والمدجن — باسيليو بابون مالدونادو — على إبراهيم منوفى
٥٢٤- الملك لير — وليم شكسبير — محمد مصطفى بدوى
٥٢٥- موسم صيد فى بيروت وقصص أخرى — دنيس جونسون رزيفز — نادية رفعت
٥٢٦- علم السياسة البيئية — ستيفن كرول ووليم رانكين — محيى الدين مزيد
٥٢٧- كافكا — ديفيد زين ميروفتس وروبرت كرمب — جمال الجزيرى
٥٢٨- تروتسكى والماركسية — طارق على وفِلْ إيفانز — جمال الجزيرى
٥٢٩- بدائع العلامة إقبال فى شعره الأردى — محمد إقبال — حازم محفوظ وحسين نجيب المصرى
٥٣٠- مدخل عام إلى فهم النظريات التراثية — رينيه جينو — عمر الفاروق عمر
٥٣١- ما الذى حَدَثَ فى حَدَثِ ١١ سبتمبر؟ — جاك دريدا — صفاء فتحى
٥٣٢- المغامرُ والمستشرق — هنرى لورنس — بشير السباعى
٥٣٣- تعلُّم اللغة الثانية — سوزان جاس — محمد الشرقاوى
٥٣٤- الإسلاميون الجزائريون — سيفرين لابا — حمادة إبراهيم
٥٣٥- مخزن الأسرار — نظامى الكنجوى — عبدالعزيز بقوش
٥٣٦- الثقافات وقيم التقدم — صمويل هنتنجتون — شوقى جلال
٥٣٧- الحب والحرية — نخبة — عبدالغفار مكاوى
٥٣٨- النفس والآخر فى قصص يوسف الشارونى — كيت دانيلر — محمد الحديدى
٥٣٩- خمس مسرحيات قصيرة — كاريل تشرشل — محسن مصيلحى
٥٤٠- توجهات بريطانية - شرقية — السير رونالد ستورس — رءوف عباس
٥٤١- هى تتخيل وهلاوس أخرى — خوان خوسيه مياس — مروة رزق
٥٤٢- قصص مختارة من الأدب اليونانى الحديث — نخبة — نعيم عطية
٥٤٣- السياسة الأمريكية — باتريك بروجان وكريس جرات — وفاء عبدالقادر
٥٤٤- ميلانى كلاين — نخبة — حمدى الجابرى

٥٤٥-	يا له من سباق محموم	فرانسيس كريك	عزت عامر
٥٤٦-	ريموس	ت. ب. وايزمان	توفيق على منصور
٥٤٧-	بارت	فيليب ثودى وآن كورس	جمال الجزيرى
٥٤٨-	علم الاجتماع	ريتشارد أوزبرن وبورن فان لون	حمدى الجابرى
٥٤٩-	علم العلامات	بول كوبلى وليتاجانز	جمال الجزيرى
٥٥٠-	شكسبير	نيك جروم وبيرو	حمدى الجابرى
٥٥١-	الموسيقى والعولمة	سايمون ماندى	سمحة الخولى
٥٥٢-	قصص مثالية	ميجيل دى ثربانتس	على عبد الروف البمبى
٥٥٣-	مدخل للشعر الفرنسي الحديث والمعاصر	دانيال لوفرس	رجاء ياقوت
٥٥٤-	مصر في عهد محمد على	عفاف لطفى السيد مارسوه	عبدالسميع عمر زين الدين
٥٥٥-	الإستراتيجية الأمريكية للقرن الحادى والعشرين	أناتولى أوتكين	أنور محمد إبراهيم ومحمد نصرالدين الجبالى
٥٥٦-	چان بودريار	كريس هوروكس وزوران جيفتك	حمدى الجابرى
٥٥٧-	الماركيز دى ساد	ستوارت هود وجراهام كرولى	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٨-	الدراسات الثقافية	زيودين ساردارويورين فان لون	إمام عبدالفتاح إمام
٥٥٩-	الماس الزائف	تشا تشاجى	عبدالحى أحمد سالم
٥٦٠-	صلصلة الجرس	نخبة	جلال السعيد الحفناوى
٥٦١-	جناح جبريل	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٥٦٢-	بلايين وبلايين	كارل ساجان	عزت عامر
٥٦٣-	ورود الخريف	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٤-	عُش الغريب	خاثينتو بينابينتى	صبرى محمدى التهامى
٥٦٥-	الشرق الأوسط المعاصر	ديبورا. ج. جيرنر	أحمد عبدالحميد أحمد
٥٦٦-	تاريخ أوروبا فى العصور الوسطى	موريس بيشوب	على السيد على
٥٦٧-	الوطن المغتصب	مايكل رايس	إبراهيم سلامة إبراهيم
٥٦٨-	الأصولى فى الرواية	عبد السلام حيدر	عبد السلام حيدر
٥٦٩-	موقع الثقافة	هومى. ك. بابا	ثائر ديب
٥٧٠-	دول الخليج الفارسى	سير رويرت هاى	يوسف الشارونى
٥٧١-	تاريخ النقد الإسبانى المعاصر	إيميليا دى ثوليتا	السيد عبد الظاهر
٥٧٢-	الطب فى زمن الفراعنة	برونو أليوا	كمال السيد
٥٧٣-	فرويد	ريتشارد ابيجنانس وأسكار زارتى	جمال الجزيرى
٥٧٤-	مصر القديمة فى عيون الإيرانيين	حسن بيرنيا	علاء الدين عبد العزيز السباعى
٥٧٥-	الاقتصاد السياسى للعولمة	نجير وودز	أحمد محمود
٥٧٦-	فكر ثربانتس	أمريكو كاسترو	ناهد العشرى محمد
٥٧٧-	مغامرات بينوكيو	كارلو كولودى	محمد قدرى عمارة
٥٧٨-	الجماليات عند كيتس وهنت	أيومى ميزوكوشى	محمد إبراهيم وعصام عبد الروف
٥٧٩-	تشومسكى	چون ماهر وچودى جروتز	محيى الدين مزيد
٥٨٠-	دائرة المعارف الدولية (جـ١)	جون فيزر ويول سيترجز	محمد فتحى عبدالهادى
٥٨١-	الحقى يموتون	ماريو بوزو	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٢-	مرايا الثلث	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٣-	الجيران	أحمد محمود	سليم عبد الأمير حمدان

٥٨٤-	سفر	محمود دولت آبادى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٥-	الأمير لمتجاب	هوشنك كلشيرى	سليم عبد الأمير حمدان
٥٨٦-	السينما العربية والأفريقية	ليزبيث مالكموس وروى آرمز	سهام عبد السلام
٥٨٧-	تاريخ تطور الفكر الصينى	نخبة	عبدالعزيز حمدى
٥٨٨-	أمنحوتپ الثالث	آنييس كابرول	ماهر جويجاتى
٥٨٩-	تمبكت العجيبة	فيلكس ديبواه	عبدالله عبدالرازق إبراهيم
٥٩٠-	أساطير من الموروثات الشعبية الفنلندية	نخبة	محمود مهدى عبدالله
٥٩١-	الشاعر والمفكر	هوراتيوس	على عبدالتواب على وصلاح رمضان السيد
٥٩٢-	الثورة المصرية	محمد صبرى السوربونى	مجدى عبدالحافظ وعلى كورخان
٥٩٣-	قصائد ساحرة	بول فاليرى	بكر الحلو
٥٩٤-	القلب السمين	سوزانا تامارو	أمانى فوزى
٥٩٥-	الحكم والسياسة فى أفريقيا (جـ٢)	إكوادو بانولى	نخبة
٥٩٦-	الصحة العقلية فى العالم	روبرت ديجارليه وآخرون	إيهاب عبدالرحيم محمد
٥٩٧-	مسلمو غرناطة	خوليو كاروباروخا	جمال عبدالرحمن
٥٩٨-	مصر وكنعان وإسرائيل	دونالد ريدفورد	بيومى على قنديل
٥٩٩-	فلسفة الشرق	هرداد مهرين	محمود سلامة علاوى
٦٠٠-	الإسلام فى التاريخ	برنارد لويس	مدحت طه
٦٠١-	النسوية والمواطنة	ريان فوت	أيمن بكر وسمر الشيشكلى
٦٠٢-	ليوتار:نحو فلسفة ما بعد حداثية	جيمس ويليامز	إيمان عبدالعزيز
٦٠٣-	النقد الثقافى	آرثر أيزابرجر	وفاء إبراهيم ورمضان بسطاويسى
٦٠٤-	الكوارث الطبيعية (جـ١)	باتريك ل. أبوت	توفيق على منصور
٦٠٥-	مخاطر كوكبنا المضطرب	إرنست زيبروسكى الصغير	مصطفى إبراهيم فهمى
٦٠٦-	قصة البردى اليونانى فى مصر	ريتشارد هاريس	محمود إبراهيم السعدنى
٦٠٧-	قلب الجزيرة العربية (جـ١)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٨-	قلب الجزيرة العربية (جـ٢)	هارى سينت فيلبى	صبرى محمد حسن
٦٠٩-	الانتخاب الثقافى	أجنر فوج	شوقى جلال
٦١٠-	العمارة المدجنة	رفائيل لوبث جوثمان	على إبراهيم منوفى
٦١١-	النقد والأيديولوجية	تيرى إيجلتون	فخرى صالح
٦١٢-	رسالة النفسية	فضل الله بن حامد الحسينى	محمد محمد يونس
٦١٣-	السياحة والسياسة	كولن مايكل هول	محمد فريد حجاب
٦١٤-	بيت الأقصر الكبير	فوزية أسعد	منى قطان
٦١٥-	عرض الأحداث التى وقعت فى بغداد	اليس بسيرينى	محمد رفعت عواد
٦١٦-	أساطير بيضاء	روبرت يانج	أحمد محمود
٦١٧-	الفولكلور والبحر	هوراس بيك	أحمد محمود
٦١٨-	نحو مفهوم لاقتصاديات الصحة	تشارلز فيلبس	جلال البنا
٦١٩-	مفاتيح أورشليم القدس	ريمون استانبولى	عايدة الباجورى
٦٢٠-	السلام الصليبى	توماش ماستناك	بشير السباعى
٦٢١-	الهوية المصير الحضارى	وليم. ى. ادمز	فؤاد عكود
٦٢٢-	أشعار من عالم اسمه الصين	أى تشينغ	أمير نبيه وعبدالرحمن حجازى

٦٢٣-	نوادر جحا الإيراني	سعيد قانعي	يوسف عبدالفتاح
٦٢٤-	أزمة العالم الحديث	رينيه جينو	عمر الفاروق
٦٢٥-	الجرح السرى	جان جينيه	محمد برادة
٦٢٦-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	نخبة	توفيق علي منصور
٦٢٧-	حكايات إيرانية	نخبة	عبدالوهاب علوب
٦٢٨-	أصل الأنواع	تشارلس داروين	مجدى محمود المليجى
٦٢٩-	قرن آخر من الهيمنة الأمريكية	نيقولاس جويات	عزة الخميسى
٦٣٠-	سيرتى الذاتية	أحمد بللو	صبرى محمد حسن
٦٣١-	مختارات من الشعر الأفريقي المعاصر	نخبة	بإشراف: حسن طلب
٦٣٢-	المسلمون واليهود فى مملكة فالنسيا	دولورس برامون	رانيا محمد
٦٣٣-	الحب وفنونه	نخبة	حمادة إبراهيم
٦٣٤-	مكتبة الإسكندرية	روى ماكلويد وإسماعيل سراج الدين	مصطفى البهنساوى
٦٣٥-	التثبيت والتكيف فى مصر	جودة عبد الخالق	سمير كريم
٦٣٦-	حج يولندة	جناب شهاب الدين	سامية محمد جلال
٦٣٧-	مصر الخديوية	ف. روبرت هنتر	بدر الرفاعى
٦٣٨-	الديمقراطية والشعر	روبرت بن وررن	فؤاد عبد المطلب
٦٣٩-	فندق الأرق	تشارلز سيميك	أحمد شافعى
٦٤٠-	ألكسياد	الأميرة أنّاكومنينا	حسن حبشى
٦٤١-	برتراندرسل (مختارات)	برتراند رسل	محمد قدرى عمارة
٦٤٢-	داروين والتطور	جوناثان ميلر وبورين فان لون	ممدوح عبد المنعم
٦٤٣-	سفرنامه حجاز	عبد الماجد الدريابادى	سمير عبدالحميد إبراهيم
٦٤٤-	العلوم عند المسلمين	هوارد د.تيرنر	فتح الله الشيخ
٦٤٥-	السياسة الخارجية الأمريكية ومصادرها الداخلية	تشارلز كجلى ويوجين ويتكوف	عبد الوهاب علوب
٦٤٦-	قصة الثورة الإيرانية	سيهر ذبيح	عبد الوهاب علوب
٦٤٧-	رسائل من مصر	جون نينيه	فتحى العشرى
٦٤٨-	بورخيس	بياتريث سارلو	خليل كلفت
٦٤٩-	الخوف وقصص خرافية أخرى	نخبة	سحر يوسف
٦٥٠-	الدولة والسلطة والسياسة فى الشرق الأوسط	روجر أوين	عبد الوهاب علوب
٦٥١-	ديليسبس الذى لا نعرفه	وثائق قديمة	أمل الصبان
٦٥٢-	آلهة مصر القديمة	كلود ترونكر	حسن نصر الدين
٦٥٣-	مدرسة الطغاة	إيريش كستنر	سمير جريس
٦٥٤-	أساطير شعبية من أوزبكستان (جـ١)	نصوص قديمة	عبد الرحمن الخميسى
٦٥٥-	أساطير وآلهة	إيزابيل فرانكو	حليم طوسون ومحمود ماهر طه
٦٥٦-	خبز الشعب والأرض الحمراء	ألفونسو ساسترى	ممدوح البستاوى
٦٥٧-	محاكم التفتيش والموريسكيون	مرثيديس غارثيا- أرينال	خالد عباس
٦٥٨-	حوارات مع خوان رامون خيمينيث	خوان رامون خيمينيث	صبرى التهامى
٦٥٩-	قصائد من إسبانيا وأمريكا اللاتينية	نخبة	عبداللطيف عبدالحليم
٦٦٠-	نافذة على أحدث العلوم	ريتشارد فايفيلد	هاشم أحمد محمد
٦٦١-	روائع أندلسية إسلامية	نخبة	صبرى التهامى

٦٦٢-	رحلة إلى الجذور	داسو سالديبار	صبرى التهامى
٦٦٣-	امرأة عادية	ليوسيل كليفتون	أحمد شافعى
٦٦٤-	الرجل على الشاشة	ستيفن كوهان - إنا راى هارك	عصام زكريا
٦٦٥-	عوالم أخرى	بول دافيز	هاشم أحمد محمد
٦٦٦-	تطور الصورة الشعرية عند شكسبير	وولفجانج اتش كليمن	مدحت الجيار
٦٦٧-	الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى	ألفن جولدنر	على ليلة
٦٦٨-	ثقافات العولمة	فريدريك جيمسون - ماساو ميوشى	ليلى الجبالى
٦٦٩-	ثلاث مسرحيات	وول شوينكا	نسيم مجلى
٦٧٠-	أشعار جوستاف أدولفو	جوستاف أدولفو	ماهر البطوطى
٦٧١-	قل لى كم مضى على رحيل القطار؟	جيمس بولدوين	على عبدالأمير صالح
٦٧٢-	مختارات قصائد فرنسية للأطفال	نخبة	إبتهال سالم
٦٧٣-	ضرب الكليم	محمد إقبال	جلال السعيد الحفناوى
٦٧٤-	ديوان الإمام الخمينى	آية الله العظمى الخمينى	محمد علاء الدين منصور
٦٧٥-	أثينا السوداء (جـ٢، مج١)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٦-	أثينا السوداء (جـ٢، مج٢)	مارتن برنال	بإشراف: محمود إبراهيم السعدنى
٦٧٧-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ١ ، مج١)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٨-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢ ، مج٢)	إدوارد جرانفيل براون	أحمد كمال الدين حلمى
٦٧٩-	مختارات شعرية مترجمة (جـ٢)	ويليام شكسبير	توفيق على منصور
٦٨٠-	سنوات الطفولة	وول سوينكا	سمير عبد ربه
٦٨١-	هل يوجد نص فى هذا الفصل؟	ستانلى فش	أحمد الشيمى
٦٨٢-	نجوم حظر التجول الجديد	بن أوكرى	صبرى محمد حسن
٦٨٣-	سكين واحد لكل رجل	تى. م. ألوكو	صبرى محمد حسن
٦٨٤-	الأعمال القصصية (جـ١)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٥-	الأعمال القصصية (جـ٢)	أوراثيو كيروجا	رزق أحمد بهنسى
٦٨٦-	امرأة محاربة	ماكسين هونج كنجستون	سحر توفيق
٦٨٧-	محبوبة	فتانة حاج سيد جوادى	ماجدة العنانى
٦٨٨-	الانفجارات الثلاثة الكبرى	فيليب م. دوبر وريتشارد أ. موار	فتح الله الشيخ وأحمد السماحى
٦٨٩-	الملف	تادووش روجيفيتش	هناء عبد الفتاح
٦٩٠-	محاكم التفتيش فى فرنسا	جوزيف ر. ستراير	رمسيس عوض
٦٩١-	ألبرت أينشتين: حياته وغرامياته	دنيس براين	رمسيس عوض
٦٩٢-	الوجودية	ريتشارد أبيجانسى وأوسكار زاريت	حمدى الجابرى
٦٩٣-	القتل الجماعى: المحرقة	حانيم برشيت وأخران	جمال الجزيرى
٦٩٤-	دريدا	جيف كولينز وبيل مايبلين	حمدى الجابرى
٦٩٥-	رسل	ديف روبنسون وجودى جروف	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٦-	روسو	ديف روبنسون وأوسكار زاريت	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٧-	أرسطو	روبرت ودفين وجودى جروفس	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٨-	عصر التنوير	ليود سبنسر وأندرزيجى كروز	إمام عبدالفتاح إمام
٦٩٩-	التحليل النفسى	إيفان وارد وأوسكار زاراتى	جمال الجزيرى
٧٠٠-	حقيقة كاتب	ماريو فرجاش	بسمة عبدالرحمن

٧٠١-	الذاكرة والحداثة	وليم رود فيفيان	منى البرنس
٧٠٢-	الأمثال الفارسية	أحمد وكيليان	محمود علاوى
٧٠٣-	تاريخ الأدب فى إيران (جـ٢)	إدوارد جرانفيل براون	أمين الشواربى
٧٠٤-	فيه ما فيه	مولانا جلال الدين الرومى	محمد علاء الدين منصور وآخران
٧٠٥-	فضل الأنام من رسائل حجة الإسلام	الإمام الغزالى	عبدالحميد مدكور
٧٠٦-	الشفرة الوراثية وكتاب التحولات	جونسون ف. يان	عزت عامر
٧٠٧-	ڤالتر بنيامين	نخبة	وفاء عبدالقادر
٧٠٨-	قراءة من؟	دونالد مالكولم ريد	رءوف عباس
٧٠٩-	معنى الحياة	ألفريد آدلر	عادل نجيب بشرى
٧١٠-	الأطفال: التكنولوچيا والثقافة	يان هاتشباى وجوموران - إليس	دعاء محمد الخطيب
٧١١-	درة التاج	ميرزا محمد هادى رسوا	هناء عبد الفتاح
٧١٢-	الإلياذة (جـ١)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٣-	الإلياذة (جـ٢)	هوميروس	سليمان البستانى
٧١٤-	حديث القلوب	لامنيه	حنا صاوه

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٣١٤٣ / ٢٠٠٤

حنا صاوه



المجلس الأعلى للثقافة

حديث القلوب

للاجتماعى الشهير لامنيه

هذه هى الكلمات التى حرك لها واضعها الأرض نابشًا أحشاءها وصعد لأجلها إلى السماء مناجيًا الجوهر؛ فهو قد سما فيها عن هيكو فى تأملاته، ولامارتين فى أوصافه، مطلقًا فكره المتشبع باللاهوت والفلسفة - من شسناى القريبة من مدينة دينان الكائنة فى الشمال الغربى من فرنسا على نهير الرانس - فى آفاق الكائنات وبطونها، مستندًا إلى المصدر الأصلى للحب والمساواة والإخاء فى الأعالى، ناشرًا مبادئها فى الأنحاء الأرضية بالقرطاس، باثًا روح الحرية فى الخلائق، محررًا إياها من تقاليد هى العبودية، وأهواء هى الانشقاق، ومطامع هى الشقاء، وتنازع هو الدمار، وهى علل تتحدث فيها القلوب العظيمة مبتغية استئصالها، ساعية وراء إيجاد أدوائها، إلا أنه مهما كان مبلغ هذا السعى فإنها لن تهتدى إلى ما اهتدت إليه خواطر لامنيه، وإن اهتدت إلى ذلك فإنها لن تصوغه فى القالب الذى صاغه ذاك.